جامعــة غردايــة
كلية العلوم الإجتماعية الإنسانية
قسم العلوم الإنسانية
شعبة التاريخ

الحياة الثقافية في الجزائر خلال عهد الدايات (1082-1246 هـ/ 1671-1830 م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ حديث ومعاصر

إعداد الطالبة :
• لقرع صبرينة

إشراف: الدكتور صالح بوساليم
المشرف المساعد : أ. محمد السعيد بو بكر

أعضاء اللجنة المناقشة

أ/ الشافعي درويش	رئيسا
د/ صالح بوسليم	مشرفا ومقررا
أ/ محمد السعيد بوبكر	مشرفا مساعدا
أ/ بن قايد عمر	عضوا مناقشا

الموسم الجامعي: 1434 -1435 هـ/ 2013-2014م

قال الله تعالى

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ أَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

المجادلة الآية:11

تشكر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة وأعاننا على أداء هذا الواجب ووفقنا إلى إنجاز هذا العمل.

نتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذ المشرف صالح بوسليم والأستاذ المساعد محمد السعيد بوبكر على توجيهاتهما القيمة وأفكارهما النيرة التي أرشداني بها لإنجاز هذا البحث المتواضع جزاهما الله عن كل خير.

كما أتوجه بالشكر الى الأسرة الجامعية ، كما أثني على كل من ساعدني وأعانني خلال مشواري الدراسي وكل من ساهم بتقديم يد العون لي من قريب أو بعيد.

إهداء

إلى كل من سار معي في رحلة الكفاح إلى من تألموا فصبروا فابتلوا فرضوا وتكالبت عليهم كتائب الأحزان فابتسموا للحياة فازدادوا حبا لله

الحمد لله الذي أنعم عليَّ بنعمته على من كان سببا في خلقي ووجودي أهدي هذا العمل إلى رمز العطف ونبع الحنان التي حملت وصبرت لتعيش هذه اللحظات شعاع الشمس الدافئة" أمي" أطال الله في عمرها ،وإلى ضوء القمر الساطع إلى الذي أنار لي درب الكفاح من أجل هذا العمل.

" أبي" أطال الله في عمره.

إلى إخوتي عبد الحكيم ،فاتي، إيمان والى زوجي خالد

الى أصدقائي و كل من دعمني من قريب و بعيد ، فاطمة ، سامية ، باية ، أم السعد خديجة

إلى زملائي بقسم التاريخ و إلى عمال المكتبة الجامعية سارة ، رشيدة ، حليمة عثمان عمارة، حنان، أيهم و إلى كامل إدارة العلوم الإنسانية بجامعة غارداية

إلى كل من يحمل في قلبه درة عطاء وتضحية وفاء لهذا الوطن الغالي

إلى كل من مد لي يد العون ووقفوا معي في السراء والضراء

إلى كل من وسعهم قلبي ولم تسعهم مذكرتي.

صبرينة

فهرس المختصرات

جدول المختصرات

المختصر	تـوضيحـــه
د ، و	بدون سنة الطبع
ط، ن ، ت	للطباعة والنشر و التوزيع
تح	تحقيق
ص	صفحة
ش، و ، ت	الشركة الوطنية للنشر و التوزيع
م ، و ، ك	المؤسسة الوطنية للكتاب
م ، ج ، ط	المؤسسة الجزائرية للطباعة
ط ، خ	طبعة خاصة

مقدمـــة

إن دراسة تاريخ الجزائر الحديث و محاولة الكشف عن الحقائق التاريخية يتطلب منا إلقاء الضوء على مختلف ميادين الحياةسواءا السياسية أوالعسكرية أو الثقافية ، غير أن تاريخ الجزائر في أواخر العهد العثماني لا يزال على الرغم من الكتابات التي تناولته يفتح آفاقا جديدة أمام الباحثين المهتمين بهذا الموضوع و ذلك بالنظر إلى مواضيع عديدة لا تزال بكرا ، ولم تخضع للدراسة المعمقة من جهة ، ومثيرة للخلاف والجدل من جهة أخرى ، إذ لا يزال الغموض يكتنف بعض الجوانب في فهم تاريخ الجزائرالعثمانية ، وحتى لو كان هنا ك بصيص من الإهتمام، فإنه لا يتعدى الجانب السياسي والعسكري لأن معظم الدراسات الحديثة ركزت على هذه الأخيرة ، فيما ظلّت الجوانب الأخرى في حاجة و مزيد من الدراسة ،وإذا استثنينا بعض الإشارات التاريخية ، فإننا لا نكاد نعثر على دراسة شاملة.

وإدراكا لأهمية هذه الجوانب ، ارتأيت تناول جانبا مهما في تاريخ الجزائر الحديث ،وهو الجانب الثقافي في الجزائر أواخر العهد العثماني .

و إنطلاقا من هذا التقديم ، إرتأيت أن يكون موضوع مذكرتي على النحو الآتي: الحياة الثقافية في الجزائر خلال عهد الدايات(1081-1246 هـ/1671-1830 م) .

1/الهدف من الدراسة:

تهدف هذه الدراسة على جملة من الأهداف أوجزتها كالآتي :

1 - محاولة تصحيح نظرة المصادر الأوربية القاتمة عن حقيقة الوضع الثقافي بالجزائر العثمانية .

2 - إبراز أهم المؤسسات التعليمية ، و التعريف بمراحل التعليم ورجالاته خلال هذه الفترة .

3 – محاولة تقيم الوضع الثقافي لهذه الفترة ، خاصة وأن معظم الباحثين كانت إهتماماتهم بالجانب السياسي و العسكري فيما ظلت الجوانب الأخرى في مزيد إلى الدراسة .

4 – المساهمة في إثراء المكتبة التاريخية الوطنية، ولو بالقليل من خلال هذا الجهد والإسهام المتواضع ليستفيد منه الباحثون مستقبلا ، وذلك لإ براز الأوجه الأخري للحياة الثقافية في المجال الذي يتعلق بفترة حساسة من تاريخ الجزائر الحديث ، وهي فترة الدايات (1081-1246 هـ-1671 /1830م) ومحاولة إبراز بعض الجوانب التي ظلّت خفية و إبراز مدى تأثير الأتراك في المجتمع الجزائري .

2/دوافع إختيار الموضوع: هناك دوافع ذاتية و أخرى علمية

أ/ **الدوافع الذاتية:** يمكن تحديدها كالآتي وهذا في شكل عناصر محددة

- هي رغبة دفينة في نفسي و شغفي بالدراسة المتعلقة بالجزائر خلال الفترة العثمانية ،وخاصة المتعلقة بالمراكز الثقافية والعلماء ووظائفهم و الأثر العثماني علي مختلف الأوجه الثقافية بالجزائر .
- حب التطلع ومحاولة إثراء ثقافتي قدر المستطاع في معرفة خلفية من الخلفيات التي كانت وراء الركود الثقافي.
- قراءة دقيقة لوقائع مهمة مثل هجرة العلماء وتضارب أرائهم حول قضايا معينة مثل آراءهم حول مختلف الفنون ، بالإضافة إلى ودورهم في التعليم و أهم العلوم التي كانوا يدرسونها .

ب /الدوافع العلمية أو الموضوعية :

- كان إختياري لهذا الموضوع في البداية وليد دافع ذاتي ، لكن سرعان ما تحول الدافع إلى هاجس دائم الحضور خاصة وأن إهتمامات الباحثين بتاريخ الجزائر في العهد العثماني ركزوا على الجانب السياسي و العسكري فيما ظلّت الجوانب الأخرى بحاجة إلى مزيد من الدراسة ، وهو ما مكنتني من أنأكتشف أن الدافع الذاتي لا يكفي لوحده ، إذ أنه يجب الإستعانة بدوافع علمية من أجل إنجاز دراسة تاريخية موضوعية تشكل إسهاما شخصيا متواضعا في سياق البحث في تاريخ الجزائر العثمانية.
- بالإضافة إلي قلة الدراسات الجزائرية الأكاديميةوهذا مقارنةمع الدراسات الغربية ،خاصة حول هذا الموضوع الذي يغلب عليه طابع التحيز و قلة الموضوعية.
- كما أتمنى أن أسهم بهذه الدراسة المتواضعة في تقديم صورة أو لمحة بسيطة عن أهم العلوم التي كانت سائدة في تلك الفترة من خلال دراستي لها ومحاولة معرفة سبب التفاوت فيما بينها .

3/إشكالية البحث:

بعد أن تشكلت لديصورة عامة عن البحث، حاولت أن أصوغه ا بناءا على المعطيات التي بحوزتيوقد حملني هذا على طرح جملة من الإشكالات وتسليط الضوء عليها في شكل تساؤلات هدفي منها هو معالجتها في هذه الدراسة ،وقد صغتها على النحو التالي :

كيف كان واقع الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني ؟ وللإجابة عن هذه الإشكالية الرئيسية نطرح التساؤلات الفرعية التالية :

كيف كانت الحركية الثقافية في الجزائر أواخر العهد العثماني ،وما هي أبر المؤسسات الثقافية في الفترة المذكورة ؟

ماهي المؤثرات الثقافية التي شهدتها الجزائر في عهد الدايات ؟

كيف كانت حركة التصوف و نشاط الطرق الصوفية ؟

ما مدى إهتمام السلطة العثمانية في الجزائر بالعلم والعلماء ؟

ماهي أهم الفنون الثقافية التي كانت سائدة آنذاك، وما مدى التأثير العثماني عليها ؟

4/حدود الدراسة :

الفترة الزمنية التي خصصتها لدراستي هذه كانت مابين (1671-1830 م)، وهي آخر فترة من فترات الحكم العثماني بالجزائر ، وهي الفترة التي أخذت فيها الجزائرإستقلالها التام عن الدولة العثمانية مماجعلها تمتلك مختلف القرارات دون تدخل الباب العالي ، ومن خلال قرائتنا لهذه الأسطر سندرك جليا أن الحدود المكانية هي الجزائر من دون شك ، وبهذا تعد هذه الفترة منطلقا تاريخيا جديدا بالنسبة لتاريخ الجزائر الحديث .

5/المنهج المتبع في الدراسة :

هو المنهج التاريخي الوصفي الذي يصلح لسرد مختلف الحوادث التاريخية ووصفها وترتيبها حسب التسلسل الزمني بإرتباط كل ماكان له علاقة بالموضوع ، وكان إلى جانبه المنهج التحليلي ، المساعد على

ذكر الأسباب وفهم الأحداث من خلال الشرح والتفسير بهدف تحقيق هدف أسمى في تصوري وهو محاولة الكشف عن بعض الثغرات الكثيرة التي مازالت تعتري الكثير من الكتابات التاريخية حول الحياة الثقافية في الجزائر في عهد الدايات وعن جوانب عديدة لمواقع القصور في قراءاتنا ، والتي لا تزال أيضا بحاجة ملحة إلى الدراسة و التدقيق و إعادة النظر وتنشيط الذاكرة الجماعية وتقوية مناعتها من أجل تحقيق إنطلاقة فعلية للبحث التاريخي لتاريخ الجزائر الثقافي في الفترة المذكورة .

6/ خطة الدراسة :

قسمت هذه الدراسة إلى ثلاثة فصول تتصدرها مقدمة و م دخل و أتممتها بخاتمة ، مهدت للموضوع بصورة عامة في المقدمة و إيضاح لأهميته بالإضافة إلى ذكر المنهج المتبع والإطار الزماني و أهم المصادرو المراجع ، التي إستعنت بها ، كما وظفت مجموعة من الملاحق التوضيحية ذات علاقة مباشرة بالمتون .

أ – الفصل الأول : تضمن الحركية الثقافية في الجزائر في عهد الدايات وما شملته من مؤسسات ثقافية بما في ذلك المساجد و الزوايا و المدارس و المكتبات ودورها في الجانب الثقافي وتأثيرها على المجتمع بالإضافة إلى سياسة التعليم ووسائله ودور الزوايا والمتصوفة في التعليم ، والتمويل الوقفي لها ، كما أشرت إلى نشاط الطرق الصوفية و أثرها على البنية الدينية الثقافية .

ب – الفصل الثاني :حاولت فيه تسليط الضوء على فئة العلماء ووظائفهم ومدى تأثيرهم على الجانب الثقافي وبطبيعة الحال ذكرت بعض النماذج من العلماء ، كما تطرقت إلى تفسير الخلفيات التي كانت

وراء هجرتهم إلى الخارج ،كما أشرة أيضا إلى حركة التأليف وأهم العلوم التي كانت سائدة بالجزائر في عهد الدايات .

ج – الفصل الثالث :وهو الفصل الأخير والذي خصصته لدراسة أهم الفنون وحرصت على الإشارة إلى أن الفنون بدورها تعد م ظهر من المظاهر المعبرة عن الحضارة أينما كانت وهنا أقصد الفنون التي تصب في الوعاء الثقافي كفن الرسم والموسيقى والغناء و الرقص وذكر موقف المتصوفة من هذه الأخيرةكما تناولت جانب أخر من الفنون وهذا مقارنة بسابقتها ، وهي الفنون المعمارية بإعتبارها هي الأخرى وجه من أوجه الثقافية من مساجد وقصور، وحمامات وما إلى ذلك ،كما أشرة أيضا إلى الفنون الشعبة التي عرفتها الجزائر في عهد الدايات .

وفي الأخير و إنطلاقا من هذه الخلفية أنهيت هذه الدراسة بخاتمة ذكرت فيها حوصلة عملي وأهم النتائج و الإستنتاجات التي بدرت مني في متن هذه الدراسة .

7/ الصعوبات :

لا يعد خوض غمار البحث في هذا الموضوع سبيلا هينا و إنما هو الواقع مسلكا ذو إلتواءاتوعرة ، لأنه يفرض على أي باحث تحاشي السطحية لإنجاز دراسة موضوعية شاملة ، و لهذا وكما هو معهود بالنسبة لكل دراسة تاريخية واجهتني بعض العراقيل منها :

أولا– ضيق الوقت الذي لم يتناسب مع ما كنت أطمح إليه من إنجاز هذا العمل وتخصيص الوقت المناسب لإنهائه بشكل جيد ، وصعوبة التوفيق بين العمل وكتابة المذكرة .

ثانيا – قلة المصادر و المراجع التي تتحدث عن الفنون التي كانت موجودة في الجزائر في عهد الدايات .

في الأخير و بالرغم من كل هذا تجاوزت هذه العراقيل بهمة و عزم وعون من الله تعالى .

8/تقديم ونقد المصادر والمراجع :

فيما يتعلق بالمادة التاريخية أو الدراسات السابقة التي إعتمدت عليها لإنجاز هذا البحث إستعنت بمجموعة من المصادر و المراجع تختلف أهميتها حسب قدرمعالجة كل واحد منها للموضوع ، وسأقتصر على ذكر أهمها فقط .

أ – المصادر :

- مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب ، والذي إستفدت منه في الجانب المعماري غير أنه تميز بتكرار بعض العناصر في غالب الأحيان ،خاصة في وصفه لقصر الداي .
- مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، إحتوى على العديد من العناصر المهمة منها المؤسسات الثقافية
- رحلة بن حمادوش لعبد الرزاق الجزائري، لسان المقال ، يأتي هذا المصدر على ذكر شخصية العالم بن حمادوش وبعض العلماء من معاصره وبعض مآثرهم العلمية .
- بالإضافة إلى ،منشور الهداية في كشف حال من ادعى الولاية للشيخ عبد الكريم الفكون
- فتح الإله ومنه في التحدث بفضل ربي و نعمته ، لأبي راس الناصري ، وغير ذلك من المصادر المهمة التي تناولت هذا الموضوع .

ب – المراجع :

أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ج 1،ج3،ج4 ، وهي من بين المراجع التي يستحسن أن لا نستغني عنها لانها متخصصة في تاريخ الجزائر الثقافي .

أحمد مريوش، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني ، وهو أيضا من المراجع الهامة والمتخصصة في الحياة الثقافية و الذي إستفدت منه في عناصر عديدة في دراستي هذه مثل الجانب المتعلق بالفنون ، إلا أنه لم يتوسع في هذا الجانب مثل بقية العناصر الأخرى.

عمار عمورة ، الجزائر بوابة التاريخ ،ج 2 ، يأتي هذا المصدر على ذكر طريقة التعليم في الجزائر والفنون التي كانت سائدة أنذاك .

إلى جانب مجموعة أخرى من المصادر و المراجع التي أفادتني،وكانتبمثابة الضوء الذي إهتديت به في هذه الدراسة هذه .

الدراسات السابقة :

من بين الدراسات السابقة التي إعتمدت عليها مذكرة لنيل شهادة الليسانس لأمال شاربي و جهاد يعقوب ، الحياة الإجتماعية و الثقافية في الجزائر أواخر العهد العثماني .

– مذكرة لنيل شهادة الماجستير لرشيدة معمر ،العلماء و السلطة العثمانية في الجزائر (1671-1830) .

مجلة الواحات للبحوت و الدراسات ،مؤسسة الزوايا بإقليم توات خلال القرنيين 12-13هـ/18-19م، للدكتور صالح بوساليم .

في الأخير وبعد الحمد لله الذي وفقني في إنجاز هذه الدراسة ،فإني أشكر جزيل الشكر الأستاذ المشرف و الأستاذ المشرف المساعد، كما أتوجه بالشكر و التقدير سلفا للأساتذة الأفاضل أعضاء اللجنة المناقشة على ماسيبذلون من جهد محترم مشكور في قراءة هذه الم ذكرة وتصحيحها وما سيتفضلون به من ملاحظات موجة ومرشدة إلى تمام العمل ودقته ، ويبقى أملي الأول و الأخير في أن تلقى هذه المحاولة صدى طيبا في نفوس قرائها ،وأسأل الله التوفيق و السداد .هذا فإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان وإن أصبت فمن الله عز وجل و الله خير المستعان .

مدخـــل

إرتبط وجود الأتراك في الجزائر بالغزو الإسباني لها ، وهذا عندما إستنجد سكان الجزائر بالإخوة الأتراك المسلمين عروج وخير الدين نظرا للروابط الدينية المشتركة وبهذا تجسدت العلاقة منذ الوهلة الأولى بين الجزائر و العثمانيين و هذا منذ سنة 1530 م ، عندما قرر الجزائريون الإستنجاد بالإخوة عروج وخير الدين بربروس لتخليصهم من التهديدات الإسبانية المتتالية على الجزائر ، وبهذا كان دعم الدولة العثمانية بأسطول بحري قوي بقيادة خير الدين بربروس للقضاء على الإحتلال الأجنبي المؤكد و الأعمال المسيحية الوحشية التي إنتهجها الإسبانيون[1]، و قد كان الأتراك في ذلك غزاة مجاهدين تحالفوا مع الجزائريين لصد العدوان الصليبي و حماية الثغور و إقامة حكم إسلامي تابث و قوي لصد العدوان الصليبي و حماية الثغور و إقامة حكم إسلامي تابث قوي ظل طيلة ثلاثة قرون شوكة في حلق العدو و صخرة تحطمت عليها معظم محاولات الغزو الخارجي .ظل عامل الجهاد هو العامل الموحد الأساسي بينهم وبين الجزائريين ، وبهذا طالب سكان الجزائر الحماية من السلطان العثماني و الدخول تحت لواء الخلافة العثمانية ، وهكذا بورك هذا الطلب بالقبول ، وتم تعين خير الدين بايلر باي على الجزائر [2]، الذي إتخد مدينة الجزائر عاصمة له ، وبهذا دخلت الجزائر تحث لواء الدولة العثمانية وأصبحت عاصمة الأتراك بصفة رسمية ، إذ أصبحت تعرف بالمدينة المحروسة [3]، وقد ساعد هذا على تطور عمرانها من حيث الحصانة و الدفاع ، وبهذا تميزت مدينة الجزائر بفن عمراني راقي ومتنوع منها

1 يحي بوعزيز ،الجز في تاريخ الجزائر ،الجزائر الحديثة ،ط1،ج2، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،1997،ص13 .

2 أحمد توفيق المدني ، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492-1792)، ط1 ،دار البصائر ، الجزائر ،2007 ص187 .

3 عمار عمورة ،الجزائر بوابة التاريخ ،الجزائر عامة ماقبل التاريخ إلى 1962 ،ج1،دار المعرفة ، الجزائر ،2009، ص ص174-175.

القصور و القلاع و الحمامات المبنية بالرخام و المزينة بالفسيفساء تتخللها أسواق متنوعة أهمها سوق باب عزون ، كما ضمت المدينة مؤسسات دينية علمية ، منها الزوايا و المساجد و المكتبات و المدارس التي بلغت حوالى ثمانين مدرسة أواخر العهد العثماني موزعة على مختلف الأحياء الجزائرية .

إضافة إلى هذا كانت الجزائر تضم عدة طوائف من حيث التركيبة الإجتماعية ، مما أدى إلى تعدد اللغات و تنوعها ، حيث كانت التركية لغة الأتراك وبعض العبيد ،في حين أن اللغة العربية كانت لغة الأهالي ، أما الأمازيغية فكانت منتشرة بين سكان القبائل و بني ميزاب وكانت اللغة الإفرنجية التي هي مزيج بين الفرنسية والإسبانية و الإيطالية يتكلمها الجميع ماعدا اليهود، و رغم الإختلاف في العرق و جغرافية المنطقة ، إلا أنهم إتفقوا على الولاء للإسلام ثم السلطان [1]، هذا و قد طبعت العلاقة بين الجزائريين والأتراك على أساس التعاون والمساعدة المتبادلة والرمزية التي يتلقاها الطرفان في فترات متباعدة ومتكررة .

من خلال هذا نجد أن الوجود العثماني لم ينشأمن فراغ دفعة واحدة في كامل القطر الجزائري و لكنه أخد وقتا طويلا حتى يمتد و يتوطد ، إذ تمركز العثمانيين على المدن والمناطق الساحلية لصد العدوان الأجنبي ، أما فئات السكان فقد سلكوا طريقة التعامل المتفاضل وهو الإقتراب من الأندلسيين منهم رجال الدين ، لاسيما أهل التصوف و العلماء ، أما في داخل البلاد ، فقد إختاروا التعاون مع القيادات المحلية الراغبة في التعاون معهم لأسباب إقتصادية و نفوذية ونتيجة لهذا الوضع غير المستقر

1 أبو القاسم سعد الله ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج5، دار الرائد للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص ص 174-175.

في الداخل أصبحت الفتن المتوالية تعصف بالأمن وتقضي على بوادر الإنتاج الثقافي [1]، ومن النتائج الأولية المؤثرة كانت هجرة العلماء و أهل الأدب [2]، غير أن هذا لم يمنع من كون أن نظام التعليم كان مزهرا مما كان عليه التعليم غداة الحملة الفرنسية ، و بهذا أصبح التعليم قضية أهلية لا دخل للحكومة فيها ، فقد ورث العثمانيون هذه الحالة عن الحكام الذين سبقوهم ، و بهذا كان إسهامهم لا يتعدى سوى دفع التعليم برصد الأوقاف التي تتخد عندهم طابعا دينيا ، كمساعدة الطلبة و الغرباء و صيانة المساجد و إرضاء رجال الدين و على كل و بالرغم من هذا كله ، فإن مدينة الجزائر قد تطورت خلال العهد العثماني تطورا ملحوظا سياسيا و تعليميا جعلها تستقطب العلماء و الطلبة من الأرياف و المدن ، وقد وصفها التمغروطي "بإسطنبول الصغيرة " لكثرة أسواقها و عمرانها و مساجدها، أما محمد بن الشاهد فقد خلد ذكراها في قصيدته غداة الإحتلال متحدثا هو الأخر عن مساجدها و جمالها .

1 أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)، ج1 ، دار الغرب الإسلامي ، الجزائر ، 2005 ، ص19 .
2 نادية طرشون ، الهجرة الجزائرية نحوى المشرق أثناء الإحتلال ،طبعة خاصة ،الجزائر ،2007 ، ص143 .

الفصل الأول

المؤسسات التعليمية و الحركية الثقافية

المبحث الأول : المؤسسات الثقافية

المبحث الثاني: المؤثرات الثقافية

المبحث الثالث :حركة التصوف ونشاط الطرق الصوفية

لعبت المؤسسات الدينية دورا كبيرا في الجزائر أواخر العهد العثماني ، إذ نجد في مقدمتها المساجد،الزوايا و المدارس والكتاتيب ، فقد كانت الحياة الثقافية في الجزائر ترتبط بهذه المرافق ،و التي كانت تؤدي و ظائف عديدة وفق نظام وضعه العلماء و المتصوفة الذين ساهموا بشكل كبير في نشاط الحركية الثقافية.

المبحث الأول: المؤسسات الثقافية

كان غالبية الشعب الجزائري على المذهب المالكي، أما الأتراك و الكراغلة فكانوا يعتنقون المذهب الحنفي الذي أصبح في عهدهم هو المذهب الرسمي ولذا كان يوجد بالجزائر مفتي مالكي بجانب المفتي الأكبر الحنفي الذي يسمى بشيخ الإسلام ، و بدأت المؤسسات الدينية تظهر بالجزائر في كل بلدان المغرب الإسلامي منذ القرن الأول هجري / السابع ميلادي وكان المسجد هو النواة الأولى لهذه المؤسسات وتأتي الزوايا و الرباطات والكتاتيب ثم المدارس و المعاهد و أخيرا الأوقاف والمكتبات .

المطلب الأول :الزوايا والرباطات

أ. الزوايا:

كان لانتشار الطرق الصوفية بالجزائر إبان العهد العثماني وكثرة المباني ، كالزوايا ونحو ذلك أبرز مميزات العهد في المدن والأرياف، وقد عرف بعض المهتمين بالجانب الثقافي والديني في الجزائر أن الزاوية [1] ، هي عبارة عن مجموعة من الأبنية ذات الطابع المعماري الإسلامي وقد بنيت لأداء وظيفة دينية فهي مقر للعبادة وبعض العلوم الشرعية كعلوم الفقه ومبادئ القراءة والكتابة،ولذلك يطلق اسم الزاوية على

1 أحمدمريوش،الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهدالعثماني، منشورات المركز الوطني،الجزائر،2007 م،ص149 .

طائفة من الأبنية ذات الطابع المعماري الديني ، وكان بناء الزاوية يختلف عن بناء المسجد والمدرسة فهي تجمع بين هندسة المسجد والمنزل وهي ، قصيرة الحيطان منخفضة القباب بالإضافة إلى أنها كثيرة الرطوبة والعتمة[1]،وهي تحتوي على غرفة للصلاة بها محراب وضريح لأحد المرابطين أو ولي من الأشراف في إعتقاد الناس فمنهم من يوصي بعد موته بدفنه فيها [2] ، ويوجد بها أيضا مقصورة لتلاوة الصلاة،كما تحتوي أيضا على غرف مخصصة لشيخ الزاوية ولاستقبال ضيوف الزاوية أو الطلبة أو المسافرين وعابري السبيل،هذا إضافة الى توفر مساكن خاصة للخدم ومخازن حفظ المؤن،وإسطبل خاص للحيوانات والخيول ومن هنا، نقول أن مكونات الزاوية تكاد تكون متكاملة باعتبارها مؤسسة جامعة للثقافة والدين والاقتصاد وغالب الأعمال الخيرية، وقد إحتلت الزوايا في الأرياف صدارة أكثر من المدن و كانت الزاوية في الريف أرض موقوفة يحرثها المسلمون،وكانت تحظى بأهمية كبيرة من قبل السكان إذ كانوا يقدمون لها جزءا معتبرا من إنتاجهم الفلاحي وبهذا الإنتاج وبإنتاجها الخاص يستغلون هذه المحاصيل في تسير أمور الزاوية من صيانة ودفع أجور المدرسين ومعيشة التلاميذ [3]، وتثبت الإحصاءات أن عدد الزوايا والأضرحة كان يفوق عدد المساجد والمدارس ، فقد كان بتلمسان ونواحيها أكثر من ثلاثين زاوية في أواخر العهد العثماني والذي يدرس كتاب البستاني لابن مريم قد يعثر على أكثر من هذا العدد،وفي عهد صالح باي كان في قسنطينة ثلاثة عشرة زاوية منها زوايا وخلاوات سيدي المناطقي و سيدي الكتاني[4] ، وسيدي

1سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ،المرجع السابق ، ص 269 .

2 صالح بوسليم ، مؤسسة الزوايا بإقليم توات خلال القرنين 12-13 هـ/18-19 م ، في مجلة الواحات للبحوث و الدراسات ، العدد 9 ، المطبعة العربية غرداية ،2010 ،ص98 .

3سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، المرجع السابق ، ص316 .

4 مختار حساني ،التراث الجزائري المخطوط في الجزائر و الخارج ،ج2 ، منشورات الحضارة ،الجزائر ، ص 214 .

عبد المؤمن وغيرهم من الزوايا بينما في الجزائر العاصمة نذكر منها زاوية سيدي محمد الشريف، وسيدي يعقوب وفي النواحي المجاورة لمدينة الجزائر كانت زاوية القليعة، وزاوية المربوسي بالأربعاء، وزاوية البركاني قرب شرشال وغير ذلك من الزوايا في كامل أقطار البلاد.

بالإضافة إلى وظيفة الزاوية الدينية مثلما ذكرنا سابقا لها وظيفة أخرى تتمثل في التعليم فقد كانت تحتل الصدارة بين مراكز الثقافة وكانت تقوم بتثقيف جميع الفئات من أبناء الشعب كالمعوزين والفقراء وتورد بعض المصادر أن الزوايا كانت مقسمة إلى قسمين إثنين،فالأولى تقوم بوظيفة تحفيظ القرآن الكريم وتوفير غرف لإقامة عابري السبيل الذين كانوا قد مروا بمرحلة تعلم القراءة وحفظ كتاب الله تعالى،بينما الثانية تتولى تدريس بعض العقائد الدينية والفقه وقواعد النحو والصرف وبعض المواد العلمية كالفلك وبهذا تكون الزاوية أول محطة يتلقى فيها الطفل الحروف الهجائية بواسطة اللوح المصلصل والقلم القصبي والسماغ[1]،وقد كان التوجه التعليمي ديني أكثر من كونه أدبيا [2]، وهناك من ذهب إلى أبعد من ذلك وقسم الزوايا بحسب الخصوصيات والوظائف والمهام فالقسم الأول:أطلق عليه اسم زاوية المشايخ ومبدأها يقوم على النظام الوراثي في تولي منصب شيخ الزاوية وهذا النوع من الزوايا يقوم بمهمة تكمن في تسير الجانب التعليمي وتدريس القرآن بعد أن يقوم الشيخ بتحديد مواد التدريس، كما يقوم بدفع أجور

1 هي وسائل قديمة للتدريس ،إذ تكون اللوحة بيضاء و ملساء من تمرير الطين عليها ،وبعد ذلك يتم كتابة الدرس عليها بالقصب الذي يغمس في السماغ ، وهو مادة سائلة تستعمل للكتابة على اللوحة ، ينظر سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي،ج1 ،المرجع السابق ، ص339 .

2 محمد بن ميمون الجزائري،التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية،تقديم محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981، ص ص58-59 .

المشرفين على تعليم القرآن من مقرئين ومعلمين وفي هذا الصدد نذكر من بين أهم الزوايا في هذا الجانب زاوية أبي القاسم البوجيجيلي ورتلان، والزاوية القاسمية ببوسعادة، والزاوية الخملوية بوادي سقان بمليلة.

أما النوع الثاني من زوايا المرابطين فهي تختلف نوعا ما عن زوايا المشايخ كون الملكية فيها ليست وراثية بل هي جماعية، كما أن الأحباس بها هي خاصة لطلبة العلم بالدرجة الأولى وفيما يخص أحفاد المرابط والمؤسس للزاوية فلا يحق لهم بالميراث في أملاك الزاوية، وما يميز هذه الزاوية أنها لاتحتوي على طريقة صوفية معينة على غرار الزوايا الأخرى ضف إلى هذا أن المرابط في الزاوية لا يتقاضى أجر وظيفته إذا كانت غايته الأسمى هي تعمير الزاوية بطلبة العلم والذكر وحفظ القرآن، أما النوع الثالث من الزوايا ويسمى زاوية الطلبة وكان هذا النوع من الزوايا يعتمد على التشاور بين الأطراف فيما يخص المسؤولية و تنظيم سير الأعمال من أجل الحفاظ على استمرارية الزاوية كون صاحب الزاوية لا يتدخل في زمام الأمور كون الكل يحتكم للقانون الداخلي، فهو بمثابة الدستور بالمفهوم السياسي الحالي [1]، و الذي يساعد الأعيان على حل نزاعاتهم بطريقة عادلة ترضي كلا الطرفين المتخاصمين، و من أهم ما كان يميز الزوايا و الأضرحة كونها ملجأ يحتمي به الهاربون من العقاب والقتل مهما كانت جرائمهم ، فقد كان الولاة والعامة يحتمون في حصانة حمى الزاوية والضريح [2] ،و بمجرد أن يهرب الجاني إلى أحد الزوايا لن يلحقه أحد ولن يمسه أي أدى ولا يقبض عليه إلا عند خروجه من الضريح وهذا لاعتقاد الناس بصلاح الأولياء و قدرتهم على منح البركات والشفاء و الحفاظ على الأسرة و الوقاية من العين والنصر ويحمي المدينة من غارات العدو و من نكبات الطبيعة و غيرها من المعتقدات الخرافية التي لا أساس لها و لذلك

1 أحمد مريوش ، مرجع سابق،ص 155.

2أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، المرجع السابق ، ص 271.

كانت مدينة الجزائر تسمى بالمدينة المحروسة أي محروسة بالأولياء ، فأصبحت هذه الأضرحة و القباب مزار السكان وخاصة النساء، و لم تكن هذه العقلية الصوفية مقتصرة على العائلات الجزائرية فقط بل حتى الأتراك بمافيهم الحكام و الجنود كانوا هم أيضا يتقربون من الأولياء الصالحين طالبين منهم البركات و الدعوات وإن كان بعض البايات والباشاوات يقومون بها لأغراض سياسية فإنّ الجنود الأتراك كانوا يؤمنون بها،ولذلك كانوا قبل التوجه لأي معركة يدخلون في زاوية الوالي دادا أو ضريح سيدي بثقة وغيرهما طالبين منهم النصر على أعدائهم،أما فيما يخص البحارة الأتراك كانوا إذا حلّ بهم مكروه يوقدون الشموع باسم أحد المرابطين أو يذبحون شاة أو أكثر ويرمونه ا في البحر على ، و هكذا كانت هذه العقلية منتشرة عند معظم فئات المجتمع.

ب . الرباطات:

هي عبارة عن معاهد دينية،تشبه الزوايا كان الهدف من تأسيسها الجهاد اشتهرت بحراسة الثغور وهذا منذ أوائل الفتح الإسلامي ، وهي تشبه الزوايا وذلك من خلال بعض الوظائف كخدمة الدين والمجتمع بما في ذلك التعليم، و لكن الرباطات كانت تمتاز بأنها قريبة من مواقع الأعداء لأن تأسيسها كان يهدف لخدمة الجهاد والدفاع عن حدود الإسلام، و كانت الرباطات منتشرة على السواحل التي كانت منفذ نزول الأعداء، فكانت الرباطات بمثابة المحرك للحركات الجهادية و تقوم بنصر المجاهدين وتدريبهم وإطعامهم ، كما تقوم بتجنيد الشعب و رفع الروح المعنوية للمحاربين و حتى الطلبة لم يتوانوا

عن المشاركة في هذه الحركات الجهادية فقد كانوا جنودا وعلماء في نفس الوقت [1]، فالرباطات تعد قلاعا من ناحية ومن ناحية أخرى زوايا ومدارس متنقلة وهذا بحسب تواجد العدو وفي هذا الصدد نذكر زاوية الشيخ محمد بن علي الجاجي التي اشتهرت بكونها رباطا وزاوية ومدرسة.

وبعد إبعاد الأعداء من معظم السواحل إنحصرت الرباطات في الغرب الجزائري وذلك لاستمرار التواجد الإسباني في وهران وفي المرسى الكبير ، ولعل ما أنشأه المرابطون في العهد العثماني الأخير من مؤسسات لنشر التعاليم المضادة للنظام العثماني مثل الزوايا ومعاهد الطرق الدرقاوية و التجانية و القادرية والرحمانية لاتخرج أيضا عن كونها رباطات بالمعنى الذّي أشرنا إليه.

المطلب الثاني: المساجد

كثيرا ما يختلط على الباحث اسم الجامع و المسجد والزاوية. ذلك أنّ بعض الجوامع والمساجد كانت تابعة لزوايا معينة، كما أنّ بعض الزوايا كانت تابعة لجوامع ومساجد معينة فالتداخل موجود في الاسم و الوظيفق فالجوامع والمساجد كانت للعبادة والتعليم ، والزوايا كانت في بعض الأحيان تؤدي وظيفة العبادة و التعليم غير أنّ النمط الغالب عليها أنها كانت رباطا أو ملجأ أو مسكنا للطلبة و الغرباء ومركزا لتلقين الأذكار وتحفيض القرآن [2]، وكانت العناية بالمساجد ظاهرة بارزة في المجتمع الجزائري المسلم سواء في الأرياف أو المدن حيث كان المسجد هو الرابط بين أهل القرية والمدينة والحي كما كان يمثل قلب القرية

1 أبو القاسم سعد الله، ج1 ، المرجع السابق ، ص 272.

2 أحمد مريوش ، المرجع السابق ، ص25 .

في الريف والمركز الروحي لسكان المدينة فهو شاهد قوي على رقي الحضارة الإسلامية [1] ، وبهذا كانت تقوم حوله الأسواق والكتاتيب والمساكن فهو بمثابة ملتقى للناس ومجمع الأعياد ومبعثا للنشاط العلمي والاجتماعي و مرتعا لحلقات الدروس اليومية ومحطات لفنون العلوم، والمسجد هو الذّي تؤدى فيه صلاة الجمعة و العيدين، و كثيرا مايسمى جامع الخطبة أو الجامع الأعظم[2].في حين يفضل العديد من الباحثين تصنيف المساجد مما هو أكبر حجم وأصغر حجم، وفي ما إذا كانت تحتوي على صومعة أم لا وفيما إذا كانت عالية أم قصيرة، وكان تشييد المساجد يقع على عاتق المجتمع يساهم في بناءه الأغنياء والفقراء عن طريق التبرعات مثلما هو جاري اليوم، لكن في غالب الأحيان كانت تحدد أنواع المساجد بناء على مؤسسها فهناك نوع قام ببنائه الحكام ونوع بناه الأثرياء في حين أن النوع الثالث قامت ببنائه الهيئات والجمعيات الخيرية.

فالنوع الأول هو النوع الذي أسسه الحكام كالخلفاء والملوك والأمراء والولاة الذّين كانوا يعتبرون هذا جزءا من واجبهم الديني وخدمة لمجتمعهم الإسلامي وتسهيل قيامه بشعائره الدينية بالإضافة إلى كسب احترام الرعية ومثال هذا النوع المساجد في الجزائر العاصمة الجامع الجديد وجامع الباي بقسنطينة، وصالح باي بعنابة و مسجد الباي محمد الكبير 1207 هـ، بوهران[3]، ومحمد بن عثمان باشا الذي بنى مسجدا بديعا مقابلا لدار الإمارة [4]، أما النوع الثاني من المساجد قام بتأسيسه الأثرياء من

1 محمد طمار ، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج (ش، و ،ن ، ن)، الجزائر1983 ، ص240 .

2 مبروك مهيريس، المساجد العثمانية بوهران، 2008، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، ص39 .

3 المنور مريوش ، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني العملة ، الأسعار و المداخيل ، ج1 ،دار القصبة للنشر ، الجزائر ،ص39 .

4 محمد بن ميمون ، المصدر السابق ،59 .

الناس و ذلك بهدف التقرب من الله واستمالة بعض الفئات الاجتماعية وشيوخ الدين أو لكسب الشهرةوهذا النوع من المساجد كان شائع الإنتشار بالجزائر خلال الفترة العثمانية منها عنابة ومسجد سيدي أبي مروان ومسجد الباي محمد الكبير في معسكر والذي يسمى بمسجد العين البيضاء بني يوم 5ذو القعدة1195 هـ، والجامع الأحمر الذّي شيده الباي حسن حوالي سنة 1213 م،وفي تلمسان التي كان بها في أواخر العهد العثماني حوالي 50 مسجد منها جامع سيدي بومدين وجامع محمد السنوسي وجامع ابن زكري وغير ذلك من المساجد .

والنوع الثالث من المساجد قامت بتشييده المؤسسات الخيرية وهو يعتبر بمثابة عمل مكمل لعمل الولاة والأغنياء والشيوخ وكانت هذه المساجد متواضعة مقارنة بالمساجد التي بناها الأثرياء والتي بنيت من طرف الأهالي ذات الفراش البسيط و الذي يتكون من الحصير و الزرابي والجبس و الحجر في حين أن البعض كانت بجمال يفوق جمال الكنائس.

و يمكن تصنيف المساجد أيضا بحسب المذاهب إلى نوعين منها المالكية والحنفية فمن أهم الجوامع المالكية نذكر الجامع الكبيرأو الجامع الأعظم [1]،ويعتبر مقر المفتي المالكي و المركز الذي ينعقد فيه المجلس الشرعي كل يوم خميس للنظر في القضايا الفقهية التي تعرض عليه.وبوجود هذه المساجد تميزت الجزائر العثمانية بطابع إسلامي موحدا تلتقي فيه اهتمامات الحكام و المحكومين[2] .

1 هو أعظم مسجد بالعاصمة الذي يعود تاريخه إلى العهد المرابطي ،مساحته نحوى مائتي متر مربع ،وهو مسجد مالكي ،ينظر نصر الدين براهمي ،تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني ،منشورات الأبيار ، الجزائر ،2010 ،ص113 .

2 عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ (ما قبل التاريخ إلى 1962)، ج2، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص167.

ب . الكتاتيب والمدارس:

كانت أقل وحدة للتعليم الابتدائي هي الكّتاب أي جمع كتاب أو المكتب كما يسمى أحيانا وكان يطلق عليه في العاصمة اسم مسيد، وهو بدون شك محرف من تصغير كلمة مسجد كان في الغالب عبارة عن حجرة أو دكان، وهذا لتحفيظ القرآن الكريم للأطفال وترتيله، والكتاتيب قد تنشأ متفردة أو في شكل مجمعات من البيوت المختلفة الأحجام والأشكال يرتكز منهاجها على تعليم الكتابة واستظهار كتاب الله تعالى وكانت هذه الكتاتيب موجودة منذ القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي /، والقرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي.

كانت الكتاتيب منتشرة في جميع الأحياء، وكثير منها كان يحمل اسم الحي الواقع فيه مثل مسيد القيصرية ومسيد جامع السيدة[1] و مكتب الشماعين ، أما فيما يخص بناء هذه الكتاتيب فكان يساهم في بنائها غالبية فئات المجتمع كالباشوات والبايات والموظفون الذين كانوا يشتركون مع الأهالي لإقامة هذه المكتبات[2]، فالبعض منها كان تابع لبعض الزوايا مثل المكتب الملحق بزاوية سيدي محمد الشريف و المكتب التابع لزاوية أيوبوإذا كان المكتب يقع في البادية فهو يسمى الشريعة و يكون فيها تعليم القرآن والصلاة داخل خيمة منصوبة، وبالرغم من وجود هذه الكتاتيب ودورها التعليمي غير أن وظيفة المدرسة الابتدائية تبقى هامة، فهي تثقف وتربي الأطفال على قواعد الإسلام وفق نمط اجتماعي محدد كما أنها تقوم بتعليم مختلف العلوم الدينية و غير الدينية من أجل إعطاء الطفل رصيدا معتبرا من المعارف والتي

1 هو من أقدم مساجد العاصمة ، وقد بنته كما تقول بعض الروايات بنت مولاي الناصر ،وقد سمي بإسمها جامع السيدة ،ينظر سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي نج1، المرجع السابق ،ص277 .

2 سعد الله، نفس المرجع ن نفس الصفحة .

تساعده على مواصلة تعليمه بعد سن الرابعة عشر و ذلك بعد استكماله للطور الابتدائي الذي ابتدأه من سن الخامسة أو السادسة، أما البنات فيتعلمن في مدارس من نفس النوع تشرف علىتسييرها نساء و لكن تعليمهن لا يتعدى المستوى الابتدائي[1]، وقد كانت المدارس الابتدائية منتشرة في المدن والقرى بأعداد كثيرة تلفت أنظار الزائرين والرحالين فقد كانت الأقوال متضاربة حول عددها في مدينة الجزائر بحيث كان هنالك من يدخل الزوايا والمساجد في إحصاءات واحدة وهذا لتشابه الوظائف إذ تورد بعض الدراسات أن الجزائر وتلمسان وقسنطينة من أهم المراكز الثقافية في البلاد فعند نهاية العهد التركي كان بالجزائر العاصمة حوالي مائة مدرسة بين ابتدائية وغيرها كما يشير أحد الفرنسيين بعد احتلالهم لتلمسان أنهم وجدوا 50 مدرسة ابتدائية ومدرستين للتعليم الثانوي و العالي بينما قسنطينة كانت تحتوي على تسعين مدرسة ابتدائية تستوعب حوالي ثلاثمائة ألف تلميذ .

و عندما يجتاز الطفل المرحلة الابتدائية بنجاح عادة ماتكون بختم القرآن تقدم له التهاني والهدايا و تقام له مأدبة تدعى فيها الأسرة، والجيران والأصدقاء ومن يومها إما أن يواصل الطالب دراسته الثانوية وإما أنّ يصبح بدوره معلما للأطفال وإما أن يمارس التجارة مع أهله وفي هذا الصدد كانت قسنطينة تحتوي على اثنان وأربعين مسجد للتعليم الثانوي.

و إلى جانب التعليم الثانوي كانت هنالك المعاهد العليا أو مايسمى بالتعليم العالي وكان الأستاذ الذّي يدرس في العالي يسمى عالما، أما عدد الطلبة فقد كانوا 600 إلى 800 [2] ،في كل إقليم وبالرغم

1عمار عمور، المرجع السابق، ج2، ص173 .

2 رقية شارف ،الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة خلال القرن 18 وبداية القرن 19م ،ط1 ،دار الملكية ، الجزائر ، ص48.

من أن الجزائر لم تكن تحتوي على جامعة إسلامية عريقة كالأزهر و القروين و الزيتونة غير أن دروس جوامعها الكبيرة كانت تضاهي، بل تفوق أحيانا دروس الجامع الأموي بدمشق والحرمين الشريفين لتنوع الدراسات فيها مثل دروس سعيد المقري في تلمسان، و دروس أبي راس في معسكر ودروس عبد الفكون وهنا تجب الإشارة أن اجداده كانت لهم العديد من المدارس بأسمائهم لتعليم العلم للطلبة فبفضله وبفضل أسرته وبفضل بعض الفئات المثقفة أصبحت قسنطينة من بين أكبر الأقاليم في الجزائر ثقافة وتحضرا[1]، ومن بين المدارس التي كانت توصف بأنها على مستوى عالي نذكر مدرسة القشاش ومدرسة الأندلس ومدرسة شيخ البلاد ومن المتوقع أنّ التعليم في هذه الأخيرتين كان على مستوى راقي لأن الأندلسيين قد عرفوا بإيجاد فن التدريس و حسن التربية ومراعاة التطور العقلي وذلك من خلال مواد التدريس في النحو والفقه والتفسير والحديث، والحساب والفلك بالإضافة إلى التاريخ والطب.

المطلب الثالث: الوقف الثقافي

انتشر الوقف بالجزائر العثمانية عبر حواضرها وأريافها اذ يعتبر الوقف أو الحبوس من أهم مظاهر الحضارة الإسلامية والقيم الأصلية إذ ينحدر ضمن الصدقات الجارية بإجماع الفقهاء والعلماء، أما عن مصدر هذه الأوقاف فهي عبارة عن ممتلكات للمواطنين من الطبقة الغنية أو متوسطي الحال يوقفونها أثناء حياتهم أو ممتلكاته لصالح الأوقاف من باب البر والإحسان والعناية بالمنشآت الدينية ومساعدة

1 عبد الكريم الفكون،1073-1662م ، ألف منشور الهداية في شكل مذكرات والتي إنتهى منها 1635م،ينظر منشورات الهداية في كشف حال من ادعى العلم و الولاية، تحقيق أبو القاسم سعد الله، ط1، دار الغرب الإسلامي ،الجزائر ،1987 ،ص ص08-14 .

الفقراء والمحتاجين وقد تطور خاصة في العهد العثماني، ليشمل الأملاك العقارية[1]، والأراضي الزراعية من بساتين وحدائق ودكاكين وأفران الخبز والعيون والسواقي وغير ذلك، ويقوم الوقف على مبدأ شرعي وعلى صيغة قضائية ملزمة ففي غالب الأحيان كان القاضي هو من يقوم بكتابته بصيغة معينة وبحضور الواقف والشهود، مع تحديد قيمة الوقف وتعيين أغراضه وكيفية الاستفادة منه، فالوكيل هو المشرف الرئيسي عليه والمشرف على تطبيق الوقفية واستخدامه في الأوجه الخيرية، وقد لعبت مداخيله دورا كبيرا في تحسين الحياة الاجتماعية والثقافية، وعليه ظهر للباي محمد الكبير أولوية العناية بالوقف في مشروعه الثقافي لأن ذلك يعني استمرار شريان المؤسسات التعليمية والعناية بالعلم والعلماء والطلبة ومن أهم أغراضه،في الجانب الثقافي العناية بالمساجد والمدارس والزوايا والأضرحة، وكانت الأوقاف عامة بمدينة الجزائر دون تفريق بين جنس أو طبقة أو مذهب لذلك كان منهم الرجال والنساء، والعثمانيين والحضر والأحناف والمالكية وكان الدور الايجابي لهذه الأوقاف يظهر جليا على الزوايا في ميدان التعليم وفي كثرة بناء المساجد والمدارس وإقامة الشعائر الدينية ونشر الوعي الديني والحفاظ على العقيدة الإسلامية، ومثال هذا نذكر من أقدم الواقفين العثمانيين في الجزائر خير الدين بربوس وخادمه الذي أعتقه، وهو عبد الله صقر والذي قام ببناء الجامع المعروف بجامع سفير[2]، ومن الباشوات الذين اشتهروا بالوقف على المساجد والمدارس ونحوها: الحاج محمد بن محمود، محمد بن بكير، ومحمد بكداش الذي بنى زاوية الأشراف ، ومن قسنطينة نذكر صالح باي والباي حسن الذي بنى مسجد الجامع الأخضر 1156م، كما أن صالح

1 حنفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، 1429هـ/ 2008م ص196.

2من المساجد العتيقة بمدينة الجزائر بناه القائد صقر بن عبد الله ،بني عام 1541م وأعاد حسن باشا ترميمه سنة 1827 م ،ينظر نصر الدين براهيمي، المرجع السابق، ص113.

باي[1]، كان حريصا على رعاية أملاك الوقف وضمان استمرار خدمتها فحرص على تطبيقها في أرض الميدان باعتماد تدوين أملاك الحبس في الدفاتر والحفاظ عليها من الضياع بنقلها في أربع نسخ تكون موزعة على أربع موظفين سامين أوأربعة مؤسسات، تحفظ الأولى عند وكيل بيت المال والثانية عند شيخ البلد والثالثة عند قاضي الحنفية والرابعة عند قاضي المالكية، كما وضح سجلات صغيرة يخص كل منها مسجد أو جامع أو زاوية [2]، بالتالي كثرة الأوقاف وانتشرت وأصبحت هذه المرحلة من تاريخ الوقف في الجزائر تسمى مرحلة الازدهار الوقفي إذ بلغت الممتلكات الوقفية أوج عظمتها. ومما يدعوا للدهشة أن كارل ماركس عند زيارته للجزائر عام 1882م كتب في مذكراته أن المؤسسة الوقفية في الجزائر كانت تمتلك ثلاثة ملايين هكتار من الأراضي الزراعية.

كانت مؤسسات الأوقاف كثيرة ومتنوعة تعددت بتعدد الأهداف والخدمات الثقافية الإجتماعية والتي عرفت تنظيما محكما تمثلت في المؤسسات الدينية التي يعود إليها الوقف ونذكر من بين هذه المؤسسات:

مؤسسة سبل الخيرات:

كان يشرف عليها المفتي الحنفي ويساعده في ذلك 11 مؤطر غالبيتهم من رجال العلم، قام بتأسيسها شعبان خوجة وهي تضم جميع المساجد الحنفية بمدينة الجزائر أسست خصيصا للإنفاق عليها[3]

1 يحي بوعزيز، تاريخ قسنطينة، طبعة خاصة، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر،2009، ص64

2 فاطمة الزهراء قشي، سجل صالح باي للأوقاف (1185- 1207هـ/ 1771-1792م)، تصدير عبد الجليل التميمي، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، 1430هـ/2009م، ص ص9-10.

3 ينظر ،لشدري رشيدة معمر،العلماء و السلطة العثمانية في الجزائر (1671-1830م)مذكرة لنيل شهادة الماجستير ،تاريخ حديث 2005-2006،الجزائر ،ص67 .

يبلغ عددها 8 مساجد وعدد أوقافها 331 حبسا وبهذا كان لها الفضل ببناء جامع كتشاوة وجامع علي بتشين[1].

أوقاف مؤسسة بيت المال:

كان يشرف عليها أمين يسمى أحيانا بيت المالجي، كانت هذه المؤسسة تشرف وترعة جميع أموال اليتامى وكذلك تتولى تصفية التركات [2]، كما تقوم ببعض الأعمال الخيرية مثل دفن الأموات من الفقراء وأبناء السبيل وتقديم الهدايا في كل عيد إلى الباشا وحاشيته وخدمه كما كانت تدفع شهريا مبالغ مالية معينة للدولة.

1 نصر الدين براهيمي، المرجع السابق، ص123.

2 أحمد مريوش ، المرجع السابق، ص49.

المبحث الثاني:المؤثرات الثقافية

المطلب الأول:سياسة التعليم

عرف العهد العثماني في الجزائر كود ا ثقافي[1] ، شأنه شأن حال البلاد العربية فمنذ البداية لم يكن للدولة سياسة تعليمية واضحة ولم يكن بالجزائرية عندئذ وزير لشؤون التعليم العالي ولا مدير أو وكيل ليقوم بالوظائف الرسمية بالتالي لم توجد هنالك حركات تجديد فكرية ولا إنتفاضات علمية فردية تحاول مواكبة التطورات الحاصلة في الغرب ، ولقد أملى هذا الواقع على مواقف تتراوح مابينناللامبالاة [2]، تجاه المسائل الثقافية عموما بالإضافة إلى هذا، كان الإنتاج الفكري محاصرا في حظيرة المصالح المادية والعقائدية[3]، و كانت هموم الدولة أو السلطة منشغلة بالمحافظة على الإستقرار السياسي والدفاع عن الحدود وجمع الضرائب ،ولم تكن هذه المداخيل تستعمل في نشر التعليم وتنميته ونشر الثقافة بل في تسديد أجور الجنود كثيري التمردات والثورات[4]، وبهذا كان للسلطة سياسة وهي عدم التدخل في شؤون التعليم إذ أن رجالها كانوا يرون أنفسهم أنهم رجال حرب وإدارة [5]، أكثر من كونهم رجال علم وثقافة،باستثناء بعض المحاولات الفردية من قبل بعض البايات كصالح باي [6]، ومحمد الكبير ولو أنّ هذه

1 SHAW,Voyage dans la régence d'Alger,trad de l'Anglais par J.Mac.Carthy 2éme edBouslama ,Tunis ,1980,pp84,85

2 محمد الطيبي، الجزائر عشية الغزو الاحتلالي دراسة في الدهنيات والبينات والمآلات، دار ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر،2 ص139 .

3 محمد الطيبي، نفس المرجع، ص168.

4 المبارك بن محمد الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج1، مكتبة النهضة العربية الجزائرية، الجزائر، 1964، ص193

5 محمد بن يوسف الزياني ، دليل الحيران وأنيس السهران في اخبار مدينة وهران ،تقديم وتعليق ، المهدي البوعبدلي ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر 2007 ،ص33

6 فاطمة الزهراء قشي، المرجع السابق، ص10.

المحاولات كانت دائما تصب في المشاريع الدينية والخيرية ، ومع هذا إنّ معرفتهم للعلوم الدينية لم تكن جد معمقة مثل الأقدمين ،وحتى أن عدد المثقفين المنتجين للعلوم الدينية والأدب كانوا قلة بالنسبة لمجموع السكان وكانت سياسة التعليم بالجزائر العثمانية تقوم بالدرجة الأولى على جهود الأفراد والمؤسساتالخيرية[1]، وهذا إما لإحترامهم للإنسان المتعلم وتقديرهم للعلم في حد ذاته أولأن الدين حثّهم على ذلك بغية معرفة العديد من الأمور كمعرفة الفرائض وقسمة التركات، أولأغراض تجارية من أجل معرفة الحساب في معاملات البيع والشراء وغير ذلك وهذا يبين لنا شغف الشعب للتعليم وتقديرهم للمعلمين،وبالرغم من وجود هذه الأخيرة إلا أنّ مهنة التعليم لم تكن من المهن المرغوب فيها أواخر العهد العثماني، فقد كانت مهنة غير مربحة لا تجلب لصاحبها سوى الفقر إذ لم يكن للمعلم أجر يتقاضاه بشكل رسمي سوى مايقدمه له بعض أولياءالتلاميذ بما في ذلك الهدايا التي كانت تقدم له في المناسبات مما جعل بعض المدرسين يتجهون إلى التجارة ويتخذونها حرفة ومكسب لقوتهم ، وهذا الإنحطاط الثقافي لم يكن بالشيء الغريب فهو نتاج عصر التخلف [2]،ونتاج السياسة التي إنتهجتها الدولة العثمانية لأنها لم تقم بواجبها كما ينبغي في تطوير الوضعية الثقافية والعلمية فمن جهة لم تكن تساير تطورات العصر ومن جهة أخرى لم تلق تشجيعا من الحكام العثمانيين ، بل تركوها للأوربيين وبهذا تراجعت اللغة والعربية وكان إنتاجها يكاد ينحصر في الموضوعات الدينية والتعليمية بالرغم من أنها كانت لغة الشعب ولغة التدريس إلا أنّ الدولة إتخذت اللغة التركية لغة رسمية مما أدى إلى ضعف العربية الفصحى بين الناس وإهمال العلوم الأخرى كالطب والكيمياء...الخ، ولهذا السبب كان الحكام يعتمدون

1مختار حساني ، المرجع السابق ، ص214 .

2 أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، المرجع السابق ، ص19

على الأطباء الأوروبيون الذّين كانوا عادة يأخذون أسرى مثل الطبيب الألماني بفايرالذّي أصبح سنة 1825م الطبيب الوحيد الخاص في الجزائر الذي يعالج القادة والجنود الأتراك.

بالإضافة إلى كون العثمانيين لم يسنوا سياسة معينة لتشجيع التعليم فإنهم في بعض الأحيان لم يلتزموا بقواعد الدين نحو الأوقاف، فقد كانوا يستولون على الأوقاف المخصصة له من قبل أهل الخير ويستخدمونها في غير مجالها، كما أنهم كانوا يتغاضون عن الوكلاء والعلماء الذين كانوا ينتهكون حرمة أموال الأوقاف ظلما وإنّ الذّي يقرأ كتاب رحلة الورتلاني ومنشور الهداية لعبد الكريم الفكونوأبي راس الناصري في عجائب الأسفار سيجد الأدلة على ذلك كما سيجد في هذا الأخير فكرة واضحة عن مدى إهمال العثمانيين للعلم والعلماء بشكل خاص والثقافة بشكل عام [1]، وذلك من خلال قوله "في زمن عطلت فيه مشاهير العلم ومعاهده وسدت مصادره وموارده وخلت دياره ومواسمه ...لاسيما فن التاريخ والأدب وأخبارالأوائل والنسب قد طرحت في زوايا الهجران، ونسجت عليها عناكب النسيان...".

لكن بالرغم من هذا كله ورغم هذه السلبيات فإنّ نسبة الأمية كانت ضئيلة حيث لم تتجاوز 10% من مجموع السكان على مستوى الوطن إذ تذكر العديد من الدراسات أنّ معظم الجزائريين تقريبا كانوا يعرفون القراءة والكتابة وهذا قبل التواجد الفرنسي [2]، وقد أكد هذه الوضعية العديد من الفرنسيون والرحالة الأوربيون الذّين زاروا الجزائر خلال العهد العثماني إذ أكدوا أنّ التعليم كان منتشرا بشكل كبير

1 صالح فركوس، المرجع السابق، ص171 .

2 الطاهر زرهوني، التعليم في الجزائر قبل وبعد الاحتلال، موقم للنشر، 1993، ص33 .

وأنّ هدفه الأسمى هو معرفة وفهم أسرار الدين والقرآن والسنة [1]،ولذلك كان القرآن أساسا للتعليم سواء كان تعليما ابتدائيا أو ثانويا أو عاليا، ومن بينهم الجنرال فاليزي سنة 1830 م، إذ يورد أنه لم يعثر على أي جزائري يجهل القراءة و الكتابة مثلما وجدها في بلدان جنوب أوربا التي قلما يصادف المرء فيها من لايجيد القراءة والكتابة وهذا لمواكبتهم لمختلف تطورات العصر من نهضة فكرية وأدبية وعلمية شملت مختلف الميادين،وفي هذا الصدد يورد أيضا العديد من الأجانب أن التعليم بالجزائر كان حرا من سيطرة الدولة وسيطرة الحكام وهذا لانشغالاتهم الحربية كما سبق وذكرنا ولو أن هذه الاهتمامات جعلت من الجزائر العثمانية في حقبة معينة سيدة البحر الأبيض المتوسط وقوة بحرية ذات وزن[2].

المطلب الثاني: وسائل التعليم

لم تكن للجزائر وسائل حديثة للتدريس ولم تكن لهم مؤسسات رسمية مكلفة بهذا القطاع بل ترك الميدان مفتوحا للأفراد والجماعات يقيمون مايشاؤون من مؤسسات دينية أو تعليمية بوسائل بسيطة إذ اعتاد أهل البلدة إدخال أولادهم للكتّاب في سن مبكرة للتعلم حتى يعهد به والده إلى إمام المسجد وكان التدريس بطريقة بسيطة فقد كان يجلس الشيخ في ردهة المسجد وحوله التلاميذ في شكل حلقة حاملين معهم الألواح والكتب، وكان وقت التدريس موزع على حصص فهناك حصة مخصصة للإستظهار وأخرى لإلقاء الدروس والثالثة يستغلها التلاميذ للمراجعة، ولم تكن مدة التعليم محددة فمتى حصل الطالب على الإجازة أمكنه المغادرة ليزاول نشاطه كمدرس ومعلم للقرآن أو يكمل تحصيله

1 أ بو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر بداية الاحتلال، طبعة خاصة، دار الرائد، الجزائر،2009.ص162 .

2 إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ط2، مكتبة العبيكان، 1998م ، ص68 .

العلمي في أماكن أخرى ليكون ناشرا للعلم بين الناس بلسانه وكتابه وآرائه وسلوكه ومن الطبيعي أن يكون عمدة التعليم هو المعلم كونه يعتبر المثل الأعلى للتلميذ من الصبا إلى المراهقة، وهناك درجتان للمعلم فإذا كان يباشر التعليم الابتدائي المتصل إلى أن يبلغ الطفل سن المراهقة فيطلق عليه بالمؤدب، أما إذا كان يباشر التعليم للفتيان إلى أن يبلغ الطفل سن العشرين ونحو ذلك فيطلق عليه اسم المدرس أو المعلم، وهو أستاذ أو شيخ إذا كان يدّرس لما فوق ذلك من الأعمار والمستويات [1]، أما في المدن فقد كان الواقف أو أهل الحي هم الذين يختارون مؤدب الصبيان وأحيانا العائلة هي التي تختار المؤدب الذّي يدرس لها أطفالها، ونخص بهذا البنات أكثر من الأولاد وكانت بعض العائلات تفضل أن يكون المؤدب من العثمانيين أو من أهل الأندلس أو من الشرفاء ونحو ذلك، وقد يشترطون فيه الأخلاق الحسنة والزواج ومن الطبيعي أن يكون حافظا للقرآن معروفا بأداء الصلوات وأنه يكتب ويقرأ الرسائل [2]، ويوجد هنالك نوعان من المعلمون معلمو المدن ومعلمو الأرياف ولا يوجد هنالك اختلاف كبير بين مؤدب الريف ومؤدب المدينة فالاختلاف يكمن في بعض الأمور وبعض الشؤون كون سكان الريف يستعينون بالمؤدب في شؤون الدين كأن يفتي لهم في بعض الأمور والقضايا الحساسة أو يستعينون به كتابة بعض العقود كعقود البيع والشراء، كما يعتبرونه في بعض الأحيان بمثابة القاضي ليفصل في خصوماتهم ونزاعاتهم عند الفتن والمشاكل الاقتصادية والاجتماعية و هذا الإحتكاك بالسكان ولّدت رابطة وصلة قوية مع الأهالي عكس مؤدب المدينة وهنا يكمن الاختلاف بين مؤدب المدينة ومؤدب الريف ،أما إذا كانت هذه الفئة في العاصمة وكانت تباشر التعليم للفتيان في سن العشرين فيطلقون عليها كما ذكرنا

1 سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1 ، المرجع السابق ، ص322.

2 سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، المرجع السابق ، ص163.

سابقا تسمية المعلمون أو المدرسون وكان مصدر هذه التسمية من قبل الباشوات أو الخليفة أو البايات وكان من يتحصل على هذه التسمية يعتبر من المحظوظين لأن التسمية رسمية تضمن للمدرس أو المعلم أجرا ثابتا من الأوقاف والهدايا وتضمن له أيضا جزءا من الغنائم ونحوها مما أوجد روح التنافس وجعل بعض رجال الدين يجمعون التدريس إلى وظائفهم الرسمية كالإفتاء والقضاء و في هذه الحال يصبحون هم كبار الأساتذة في البلاد لأنهم يتمتعون بالخبرة في المسائل العلمية وبذلك يصبح التعليم الذّي ينشرونه وسيلة من الوسائل التي تقود إلى التعليم العالي ومن خلال هذا التنافس تنتج حركة تعليمية مفيدة نوعا إذ يجد الطلاب وسائل عديدة للتعليم وذلك في مجال اختيار أساتذتهم فقد كان بالجامع الكبير بالعاصمة حوالي تسعة عشر أستاذ ومدرسا وكان هؤلاء الأساتذة بمثابة وسائل الدعم للقيام حركة نشيطة في التعليم بشكل خاص وفي مراكز التعليم بشكل عام فعلى سبيل المثال شهدت مراكز معسكر في أواخر القرن الثاني عشر و 18م اجتماع للعديد من الأساتذة والعلماء أمثال أبو راس الناصري ، و بوجلال و الطاهر بن حوا، ومحمد الشارف وغيرهم.

من أهم وسائل التعليم أيضا نجد الكتب والمكتبات إذ تشير العديد من المصادر أن الجزائر خلال العهد العثماني كانت تحتوي على العديد من الكتب والمخطوطات خاصة في القرن 16م والتي كانت إما إنتاج محلي أو وصلت من مصر والحجاز والأندلس ولخير دليل على هذا حواضر بايليك الغرب وماحوته من مكتبات تلمسان ومعسكر و مازونة إذ وصل عدد المكتبات بها إلى مايقارب 20 مكتبة منها المكتبة التي أوقفها الباي محمد الكبير على المدرسة المحمدية بمدينة معسكر بالإضافة إلى كتب الرحالة مثل عبد

الرزاق بن حمادوش والكتب التي كانت تصل عن طريق قوافل الحجيج ومدينة قسنطينة[1]، وما كانت تحتوه من كتب الأندلسيين والمشارقة والمؤلفات المحلية خاصة في عهد صالح باي إذ ساهم السجل الذي وضعه للأوقاف في حركة التأليف والنسخ [2]، وكان وقف الكتب يتم بنفس الطريقة التي تتم بها الأوقاف الأخرى فالواقف عادة ينص على أن الكتاب موقف في سبيل الله على طلبة الجامع أو الزاوية أو المدرسة التي يوجد فيها، كما ظهر بعض الحرفين المنشغلين بصناعة الكتب بما في ذلك الوراقة والتجليد وطبع الكتب خاصة في عهد أحمد الثالث 1703م-1730م[3]، وبهذا زاد عدد المكتبات و الكتب وكان بالجزائر العثمانية نوعان من المكتبات مكتبات عامة ومكتبات خاصة [4]، فالأولى كانت تابعة للمساجد والزوايا والمدارس مثل مكتبة الكتانية في قسنطينة، أما الثانية فتعود لعائلات علمية كعائلة الفكون التي تمتلك مكتبة حمودة الفكون والتي أصبحت مضرب الأمثال بعد الاحتلال الفرنسي وكان لأبي راس مكتبة كبيرة حبسها عليه أحد بايات وهران ويطلق عليها بيت المذاهب الأربعة [5]، ومكتبة الشيخ محمد بن إسماعيل والتي كانت تحتوي على حوالي ألف وخمس مئة كتاب.وإضافة إلى هذه المكتبات وهذه المراكز العلمية كانت الدكاكين التجارية أيضا وسيلة من وسائل التعليم وتبادل مختلف المعارف وذلك من خلال التجمعات الليلية من طرف الطلبة أو بعض فئات المجتمع والمسامرات التي كانت تفتح باب النقاش وتبادل مختلف المعارف، وحتى بيوت العلماء كانت هي الأخرى من وسائل التعليم إذ كانت

1 عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري،تح،أبو القاسم سعد الله، عاصمة الثقافة العربية، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر2007، ص24.

2 فاطمة الزهراء قشي، المرجع السابق، ص 12

3 يمينة درياس، السكة الجزائرية في العهد العثماني، ط1، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص201.

4 إبن ميمون، المصدر السابق، ص ص 60 -61 .

5 سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج1 ، المرجع السابق ، ص 297.

أماكن لملتقى الطلبة لتلقي مختلف الدروس بدون أن ننسى النوادي المنزلية والتي كانت تقام في منازل البايات والدايات والقضاة وباقي أعيان البلاد.

المطلب الثالث:مناهج التعليم

كانت مناهج التعليم في الطور الابتدائي في الجزائر خلال العهد العثماني بسيطة ببساطة التعليم نفسه فقد كان التلاميذ يجلسون متربعين على الحصير يتلحفون حول المؤدب في نصف دائرة وبيد كل واحد منهم لوحة كبيرة أو صغيرة تكتب عليها آيات من القرآن الكريم والدروس القرآنية حسب إمكانية التلميذ وعمره،فيأخذ اللوحة ويقرأ فيها بعض الوقت ويستظهر درسه بنفسه أو بمساعدة زميله فإذا وثق من أنه حفظ الدرس تقدم من المؤدب واستظهره وبذلك يعطيه الإذن بمحوه وكتابة درس جديد فيمليه المؤدب على مسامع التلميذ بصوت عال وهو يكتب على اللوح إلى أن يشير على التلميذ بالتوقف عندما يدرك أن ماكتبه يكفيه ويكون ذلك بحسب مستواه وسنه وعندما ينتهي التلميذ من مرحلة الإملاء يتراجع ويأخذ مكانه في الحلقة، وعندما ينتهي الجميع من الكتابة يتحلقوا حول المؤدب و يشرعوا في قراءة الدرس القديم إستعدادا لإستظهاره ومحوه في الصباح وهكذا يبقى التلميذ على هذا المنهاج إلى أن يأتي على القرآن كله كتابة وحفظا، ولم يكن الأطفال يستعملون الورق للكتابة بل اللوحة والسمق الأسود المستخرج من صوف الضأن والمصبوب بعد حرقه في الدواة.أما العطلة فكانت يومي الاثنين والجمعة[1].

وكان التلميذ في هذه المرحلة يتعرض لبعض العقوبات والذي يتعرض للعقوبة هو العاصي أوالمتمرد فيبدأ المؤدب بتأنيبه بالكلام أو بالضرب على يديه وإن استلزم الأمر يضربه على رجليه وهذا

1 سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق ، ص 332 .

مايسمى"بالفلاقة" ، وتكون بوضع قدمي الطفل بين حبلين ممسوكين بعصا والضغط على القدمين بالحبلين حتى لا تنفلتا وبمساعدة اثنان من كبار التلاميذ يتم توقيع الضرب عليهما عشرا أو عشرين مرة، وأغلب الآباء كانوا يرضون بتصرف المؤدب وطريقة عقابه هذا لأنهم كانوا يثقون به كامل الثقة، أما إذا تكررت العملية تكرارا ومرارا فيعفيه الآباء من مهمته هذه إذا زاد الأمر عن حده وكانت هذه الطريقة متبعة في هذا المستوى من التعليم إذ كانت تقوم على مبدأ احترام الكبير للصغير ومبدأ احترام وحفظ القرآن وبعد أن ينتهي التلميذ من هذه الأخيرة ويختم القرآن يبدأ في تعلم مبادئ الحساب وقواعد الدين وحفظ بعض المتون التي ستكون أساس تعلمه الثانوي، وكان بعض المؤدبين يسلكون مع تلاميذهم مسلكا تربويا يقربه منهم أكثر إذ يشاطرهم ألعابهم ونحو ذلك لتكبر العلاقة أكثر وأكثر وتظل باقية ومحفوظة حتى يصبح التلميذ رجلا.

أما في التعليم الثانوي فكان منهاجه يختلف عن التعليم الابتدائي فالطالب في غالب الأحيان يترك بلده وأهله لمتابعة دراسته ليلتحق بالمسجد أو المدرسة التي سيكمل بها دراسته المتوسطة والثانوية وفي غالب الأحيان توفر الزاوية المسكن والمأكل للطالب خاصة إذا كان فقيرا ولكن يبقى هذا التوفير بحسب إمكانيات الوقف[1]، فكلما كانت مداخيل الوقف كبيرة وفرة الزاوية للطالب أحسن المرافق، ومن أشهر المدارس التي كان يقصدها الطلبة نذكر مازونة والجامع الكبير [2]، ومدرسة سيدي الأخضري والتي أنشأت سنة(1203 هـ/1792م)[3]، وبمجرد أن يدخل الطالب مكان الدرس يجد المدّرس أو المدرسين وحولهم

1 عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ ، ج1 ،المرجع السابق ، ص231

2 سعاد فويال، المساجد الأثرية لمدينة الجزائر، دار المعرفة، 2010، ص41

3 أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص172.

الطلاب، وكل مدرس يتناول مسألة أو كتابا معينا وإذا كان الطالب قد حدد هدفه قبل مجيئه فإنه يذهب مباشرة إلى الشيخ الذي يدّرس تلك المادة التي يريد دراستها، أما إذا كان لم يحدد هدفه فإنه يجلس بجانب المدرسين عدة مرات إلى أن يختار من يريد أن يتتلمذ على يده وهنا للمدرس كامل الحرية في وضع البرنامج والمنهاج الدراسي وفي تحديد فترات التدريس، فالبعض منهم كان يحضّر دروسه في الصيف ليلقيها فيما بعد في فصل الشتاء والبعض كان يلقي دروسه ثلاث مرات في اليوم [1]، في حين أن البعض كان يلقيها مرة في اليوم إما في الصباح أو المساء وكان الفرق بين مدرس وآخر في نظرة الطالب إليه بالإضافة إلى العامل النفسي، وكان المدرس يرشد تلميذه بالكتب التي عليه أن يقرأها وبكيفية تحضير الدروس وبالمتون التي يجب عليه حفظها بالإضافة إلى هذا كان يقدم له العديد من روايات علوم الحديث وهنا نشير إلى أن العلماء اهتموا بالرواية اهتماما كبير لذلك غلب النقل على العقل، كما كان يقدم له الشروحات كشرح خليل والرسالة وابن الحاجب وغير ذلك، هذا من جهة ومن جهة أخرى كان بعض المدرسين يفضلون تدريس مادة معينة كالفقه أو النحو في أن البعض منهم كانوا يجمعون دروسهم في عدة علوم وفي نفس الوقت اشتهر البعض منهم بعلوم معينة كسعيد قدورة في مدينة الجزائر الذّي اشتهر بالعلوم الدينية، وعبد الكريم الفكون الذّي اشتهر بعلوم النحو والصرف والبلاغة ومثلما أشهر بعض المدرسين بعلوم معينة اشتهرت بعض المدارس هي الأخرى بعلوم ميزتهم عن غيرهم كمدرسة مازونة التي اشتهرت بالفقه، وبهذا اقتصرت العلوم المدروسة بالبرنامج الثانوي والعالي على العلوم الدينية واللغوية وبعض كتب السيرة و التاريخ واللغة العربية والمنطق والميتافيزيقيا في حين تقلصت العلوم التجريبية كالطب

1 أحمد توفيق المدني، محاضرات في اللغة والفكر والتاريخ، دار البصائر، حسين داي، الجزائر،2008، ص173.

إذ لم يوجد هنالك مدرس عرف بتدريس الطب مثلما كان مدرسو تلمسان أيام بني زيان،كما تقلص علم الفلك والرياضيات والحساب فقد كان عدد مدرسي هذه العلوم قليل مقارنة بالعلوم الأخرى زد على هذا أن تدريس هذه العلوم كان لافائدة منه عمليا ثم إن دراسة هذه العلوم لم تكن بالمستوى المطلوب، فالفلك مثلا كان يدرس لمعرفة الزوال وأوقات الصلاة والهلال ونحو ذلك وليس للملاحة ونحوها [1]. ومن العلوم الدينية الشائعة والتي كانت تدرس في كل جلسة منها تفسير القرآن الكريم بعدة كتب كتفسير الثعالبي وتفسير السيوطي، وأصول الفقه وأصول الدين، والفقه الحنفي والفقه المالكي ودراسة الحديث الشريف وخصوصا صحيح البخاري، وعلوم التوحيد والتصوف، أما العلوم اللغوية فنذكر منها الصرف بلامية ابن مالك في التصريف،وفقها للغة ، والبلاغة بجوهر الأخضري،والسير والأخبار،والأدب [2]، وبمجرد أن ينتهي الطالب من دراسته العليا يحصل على الإجازة و الإجازة نوعان مكتوبة وشفوية، فالشفوية وتكون من الأستاذ المدرس وهو أن يقوم بتسريحه ويعلن برضاه عنه[3] ، وتفوقه أما الثانية فتكون مكتوبة ومحددة ومقننة، ولا يحصل الطالب على الإجازة إلى بعد انتهائه من دراسته بجدارة كونها آخر علاقة بين الطالب وشيخه غير أن ولاء الطالب لأستاذه يمنعه من عدم رؤيته والاتصال به كونه يعتبر أبوه الروحي، لكن بتوال الزمن وبتدهور الحياة العقلية أصبح منح الإجازات سهلا وشائعا إذ أصبحت الإجازة تمنح للطالب سواء كان يستحقها أو لا يستحقها وليس هذا فحسب بل أصبحت الإجازات تمنح عن طريق المراسلة دون أن يرى المدرس الطالب أو يتتلمذ عليه كما فعل علي بن عبدالقادر بن الأمين الذي قال عنه تلميذه محمد بن العنابي أنه قد أجاز كل من عرفه في حياته وهكذا بعد أن كانت الإجازة مقيدة بكتاب أو علم أصبحت غير مقيدة.

1سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1،المرجع السابق، ص354.

2محمد بن ميمون، المصدر السابق، ص62.

3 سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1، المرجع السابق ، ص348.

المبحث الثالث: حركة التصوف ونشاط الطرق الصوفية

المطلب الأول: التصوف

الصوفية من الجماعات الدينية الكبرى التي لعبت دورا بارزا و حساسا في الجزائر العثمانية، فقد تركت أثر كبيرا على البنية الثقافية وآثار هذه الفئة باقية إلى يومنا هذا وهي مبنية على أساس ديني منتسبة إلى عقيدة الإسلام، منها المعتدلون ومنها المتعصبون والمتشددون فمنذ القرن 15 م[1]، وبعد تأزم الأوضاع السياسية وانتشار الفساد عرفت الحركة الصوفية تطورا مفاجئا إذ أسس أتباع المرابطين زوايا بالأرياف سهلت إنتشار الطرق الصوفية ليبرز بذلك التصوف بشكل كبير وبشكل واضح بداية القرن 16م،وعن ماهية التصوف يورد القشيري رحمه الله بقوله:

لا يشهد لهذا الاسم إشتقاق ولا قياس من الجهة العربية والظاهر أنه لقب. ومن قال إشتقاقه من الصفاء، أو من الصفة، فبعيد من جهة القياس اللغوي.والأظهر إن قيل بالاشتقاق أنّه من الصوف نسبة إلى ظاهرة اللبس وهي ظاهرة لبس الصوف، وكلمة التصوف يرجع معناها إلى الابتعاد عن زخرف الدنيا وزينتها والعبادة والانقطاعإلى الله تعالى[2] ومن ذلك كان التصوف عنوان للزهد والقناع، وروى عن الأنبياء أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم لا يستأثر لبس الصوف عن غيره من الثياب ولذاك أصبح الناس يرتدونه و كان من يلبسه يتميز بالروع و بالزهد و الإنقطاع عن ملذات الحياة الدنيا ويحظى با لإحترام والتقدير من قبل عامة الناس، وقد انتشرت ظاهرة التصوف بشكل كبير بالجزائر خاصة في أواخر العهد العثماني

1أحمد مريوش ، المرجع السابق ، ص 88.

2 عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ العلامة ابن خلدون، طبعة جديدة، موقم للنشر، الجزائر،2007، ص ص،117 . 118

1671م إذ أصبحت الحياة الروحية فيها تقوم على نشاط هذه الفئة والتي لقيت تجاوب كبيرا من الأعيان سواء في المدن أو الأرياف فقد انتشرت في العديد من مناطقها وذلك عن طريق طلب العلم والمعرفة وحتى من خلال الرحلات التي كان الجزائريون يقومون بها سواء التجارية أو الحجازية فبهذا وجدت الصوفية ظروف ملائمة ساعدتها على نشر العلوم الدينة فازدهرت بفضلها المساجد والزوايا والرباطات على يد الشيوخ الذّين مارسوا التصوف بصدق والذّين حملوا على عاتقهم مهمة نشر الإسلام وإنشاء مجتمع مثقف يبتعد كل البعد عن الجهل والبدع والخرافات ومختلف الاعتقادات وذلك بأسلوبهم التربوي التعليمي،وبناء على كل التعاريف المقبولة والمعقولة فإنّ التصوف الحقيقي عند سعد الله هو الذّي تتوفر فيه شروط أساسية منها معرفة الكتاب والسنة معرفة دقيقة والعلم بهما والجمع بين العلم والعمل والسعي إلى معرفة الله حق المعرفة عن طريق التأمل والنظر في مخلوقاته والتجرد عن هوى النفس وحب الدنيا والابتعاد عن مغريات السياسة والسلطة وعدم التعاون مع الظلمة والمتجبرين[1] .

ومن بين المتصوفة الذّين فضلوا الزهد والتصوف والتجرد عن الهوى نذكر محمد بن يوسف السنوسي وعبد الرحمان الأخضري، وعمر الوزان [2]، غيرهم،في حين إنحرف البعض عن الطريق الحقيقي للتصوف وتحولوا من العلم إلى الخرافة والشعوذة وهذا ما حدث لدى الكثيرين في عصر ساد فيه التخلف العقلي إذ لم تسلم منه بقعة من بقاع الإسلام [3] ، وذلك بانتشار الفوضى الدينية وكثرة الخرافات والأساطير الزائفة مما أدى إلى ظهور أشخاص هنا وهناك يدّعون دعوات ضالة مضرة بالمصلحة العامة. والملاحظ أنّ هذا

1سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1 ، ص482.

2 سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ج5، ص184.

3 محمد البشير الإبراهيمي، الطرق الصوفية، ط1، مكتبة الغرباء الأثرية، الجزائر، 2008، ص 29 .

النوع هو الذّي غلب على الحياة الثقافية في الجزائر في هذه الفترة إذ نامت فيه أعين الرقباء عن هذه الفئة من الناس التي أصبحت تغدوا في الأرض فسادا بعد ما كان التصوف راق يهتم بأمور العبادة ويبحث في الروح والعقل وبهذا أصبحت الطرق أشبه بحركات معادية للسلطة خلال هذه الفترة فرفضت الإجتهاد والتفكير وخرج بذلك التصوف عن المألوف من زهد وعبادة ليتحول إلى الشعوذة والدجل والطقوس والسحر وفي هذا الصدد يذكر محمد بن ميمون أنّ التصوف تحول إلى دروشة، تتبلور في التسولات بالأضرحة والقبور والركون إلى الخرفات الخيالية وقد وصف بأنّه من يعيش على هذه الحالة فهو يعيش في عالم الأموات [1]، ومن بين الأدلة الدالة على التخلف العقلي مانجده في الزوايا من إعتقادات زائفة ساعدت الصوفية على إستغلال الناس أو ذوي النفوس الضعيفة. وإن كان الدور الإيجابي يظهر جليا على الزوايا في ميدان التعليم وإقامة الشعائر الدينية والحفاظ على العقيدة الإسلامية ومساعدة الفقراء والمحتاجين فإنّ الأضرحة الموجودة بداخلها كانت تمثل الدور السلبي من طرف بعض الصوفية وبعض الناس من الجهال وضعاف الإيمان الذّين يعتقدون بقدرة الأولياء والأضرحة [2]، فمنهم من كان يعتقد ببركة لعاب الصوفي للذي لا يعيش له أولاد، في حين أنّ البعض كانوا يفضلون زيارة زوايا المرابطين للتبرك بها فيوقدون المصابيح والشموع لإبعاد المصائب، فقد كانت النسوة تكثر في زاوية سيدي عبد القادر، كما كان العامة يكثرون في زاوية علي الزواوي لاعتقادهم بأنّ ماء الزاوية يشفي من الأمراض ويحفظ الأولاد ويذهب الحمى[3]،ومنهم من كان يقيم الذبائح والولائم ويقيم الحضرة، وهي تجميع الفقراء

1 ابنميمون، المصدر السابق، ص48 .

2 عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ ،ج2، المرجع السابق، ص ص168-169

3 سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج1 ، ص270.

المؤمنين بدعوى من الشيخ للذكر ولن سرعان مايتحول هذا الذكر إلى حدوث أمور غريبة ليس بينها وبين الدين أية صلة كالرقص بحركات موزونة وبأصوات منغومة تعلوا وتنخفض بإشارات من الشيخ أو المقدم، ولم تكن كل مدينة تحتمي بولي صالح فحسب بل كانت كل جماعة تحتمي بولي صالح فمدينة تلمسان كانت تحتمي بسيدي أبي مدين، أما حضر مدينة الجزائر كانوا يحتمون بحامي المدينة سيدي عبد الرحمان الثعالبي، وجماعة بني ميزاب بسيدي بنور، والقبائل بسيدي عبد الرحمان بوقبرين، وجماعة الوصفان بسيدي بلال الحبشي [1]، ولم تكن هذه العقلية الصوفية المتخلفة مقتصرة على العائلات الجزائرية فقط بل حتى الأتراك بما فيهم الحكام والجنود فقد كانوا يعتقدون بقدرة الأولياء على النصر وحماية المدينة من العدو ففي غالب الأحيان كانوا يتبركون بالأضرحة قبل خروجهم للحرب وقبل قيامهم للغزو [2]،ولو تتبعنا أمثال هؤلاء لطال بنا الحديث فبطون الكتب مليئة بهذه النماذج. ولا شك أن ما لم يكتب وما لم يدون أكثر بكثير مما كتب ودون.

المطلب الثاني:أهم الطرق الصوفية

الطريقة الرحمانية:

تأسست هذه الطريقة خلال القرن الثاني عشر 18م، وهي تنسب إلى الشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهري الزواوي الجرجي المتوفي عام 1208 هـ/1793 م[3]، وهو من قبيلة آيت إسماعيل ببلاد القبائل

1عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر (1700 .1830)، مقاربة اجتماعية اقتصادية، منشوراتANE P، الجزائر، 2007، ص123.

2 عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ ج2، المرجع السابق، ص169.

3 عبد العزيز شهبي، الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران،2007، ص126.

تعلم في البداية بزاوية الشيخ بن أعراب بآيتإرثن حيث ظل بها حوالي ثلاثين سنة فأخد العلوم في جامع الأزهر ولأنه درس في الأزهر لقب بالأزهري، وفي المشرق تلقى تعاليم الطريقة الخلواتية الشاذلية التي أخدها من مصر والهند والسودان وبذلك تحدث عن أصول التصوف والتي أصبحت أصولا للطريقة الرحمانية ومن بين مبادئها ماظهر في إجازة الشيخ عبد الرحمان الأزهري لخليفته علي بن عيسى وقد تبين من خلالها الورد الذي يجب على التلميذ أن يعطيه لغيره من الإخوان،الورد هو "لا إله إلا الله الله هو حق حي قيوم قهار" ، وحوالي عام 1177هـ/1764م ، عاد إلى مسقط رأسه قريته آيت إسماعيل، فأسس بها زاوية وأخد ينشر طريقته الخلواتية ببلاد القبائل وماجاورها وامتدت مبادئ طريقته إلى الجزائر العاصمة وخصوصا في شرقها ووسطها وذلك بعد إنتقاله اليها، والتي ألقى بها دروسا في منطقة الحامة، لكن نشاطه أقلق الإدارة العثمانية وبذلك أمرت بتأسيس مجلس خاص لإبطال دروس هـ فقامت الإدارة بتكوين مجلس برئاسة الحاج علي عبد القادر إبن الأمين المفتي المالكي الذي أصدر فتوى ترمي إلى أنّ دروس محمد بن عبد الله مخالفة للسنة النبوية الشريفة وبأنها بدعة جديدة مخالفة للدين الإسلامي الحنيف غير أن الإدارة العثمانية لم تنل مبتغاها إذ حدثت مظاهرات عارمة ضد هذه الفتوى مما دفع بالسلطة العثمانية أن تطالب المجلس مرة ثانية بإصدار فتوى تلغي فيها مفعول الفتوى الأولى وبذلك إنتشرت تعاليم الأزهري في الجزائر خصوصا في شرقها ووسطها وفي تونس، وبسبب تعفن الأجواء و كثرة الدسائس تجاه هذه الطريقة عاد شيخ الطريقة الرحمانية إلى منطقة آيتإسماعيل حيث تابع نشر دعوته هناك، وبذلك كانت الطريقة الرحمانية أكثر الطرق إنتشارا إذ بلغ عدد زواياها إلى 177 زاوية، و 22

شيخا، و 676 طالبا وبهذا أصبحت العديد من الزوايا تابعة لهذه الطريقة [1]، أهمها زاوية شلاطة ببلاد القبائل، وزاوية الهامل ببوسعادة وزاوية طولقة ببسكرة،وبهذا أدت زاوية الأزهري خدمة هامة في نشر التعليم[2]، حتى بعد وفاته سنة 1793 م كما سبق وأشرنا، فقد ترك الشيخ عددا من الأساتذة والتلاميذ الذين عملوا على توسيع نفود الزاوية مع الخليفة الذي عينه قبل وفاته والذي يسمى عيسى المغربي والذي كان على رأس الزاوية الجديدة[3].

الطريقة التجانية:

ترجع التيجانيةإلىمؤسسها الأول، أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار إبن سالم التجاني، ولد عام 1150 هـ /1737م بالجزائر في قرية عين ماضي بالأغواط التي درس بها ثم ارتحل طالبا للعلم إلى مدينة فاس المغربية، وظل متنقلا يأخذ الأوراد والأذكار الصوفية فأخذ عن علمائها أمثال الشيخ الطيب الوزاني شيخ الطريقة الطيبة، والشيخ محمد بن عبد الله التيزاني بالريف المغربي صاحب الطريقة الناصرية ومن فاس دخل التجاني إلى الجزائر وتجول بمناطق في الصحراء فمكث في الأبيض سيد الشيخ بالبيض مدة خمس سنوات ثم رجع إلى مسقط رأسه عين ماضي لكنه لم يجد فيها بغيته من العلماء والصالحين، فانتقل إلى تلمسان وأقام بها مدة خمس سنوات هي الأخرى من 1767م إلى 1772 م[4]،ثم هاجر إلى المشرق لأداء فريضة الحج وفي طريقه مر بزواوة فدرس على يد الشيخ عبد الرحمان الأزهري والذّي أخذ عنه

1 صلاح مؤيد العقبي ،الطرق الصوفية و الزوايا بالجزائر تاريخها نشاطها ،ج1 ، دار البراق، لبنان ، 2002 ،ص155 .

2 سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1 ، المرجع السابق ، ص508.

3صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي (1514 .1830)، ط3، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص 164.

4 عبد العزيز شهبي، المرجع السابق، ص 138 .

الذكر والطريقة الرحمانية [1]، كما أخذ عن محمود الكردي في مصر الطريقة الخلواتية والمستحبات العشروأخذ من المدينة المنورة الطريقة الشاذلية، ثم عاد إلى تلمسان،ثم ذهب إلى توات، وانعزل في قرية بوسمغون وأخذ ينشر طريقته التي جمع فيها خلاصة الطرق الصوفية السابقة،ولكنبايات وهران أقلقهم نشاطه ولاحقوه، فانتقل مع أسرته إلى فاس المغربية 1215 هـ/1799 م وبها قام بتأسيس زاويته الأولى، وقام بتأسيس زوايا في أماكن أخرى، وعين لها مقدمين ينوبون عنه لنشر طريقته، وبهذا تميزت التيجانية بتعاليمها البسيطة فقد كانت منتشرة في الصحراء والمنطقة التلية والهضاب العليا والجزائر كما كانت لها أهمية سياسية واجتماعية كبيرة، وتذكر المصادر التاريخية أنّ التيجانية كان بها 165 مقدم و 32فرعا[2]، وقد ظهرت دعوة التجاني في الوقت الذي بدأالعثمانيون فيه يتخوفون من نشاط الطرق الصوفية عموما وذلك خوفا من تقلدهم وسيطرتهم على مقاليد الحكم مما جعلهم يحاولون إيقاف نشاط هذه الطرق الصوفية.

وبعد وفاة أبو العباس التيجاني خلفه على رأس الطريقة الحاج علي الينبوعي الذي كان قد أعطاه الوصية ليكون حامل البركة بعده في الجزائر والذي عمل هو الأخر على توسيع نشاط هذه الطريقة فانتشرت بفضله الطريقة التيجانيةإلىأبعد الحدود في التل والصحراء والسودان الغربي، وذلك عن طريق القوافل التجارية والتي كانت تنتقل بين الشمال والجنوب، والشرق والغرب وأصبحت ذات أهمية، ولكن أهميتها قد ظهرت كالطريقة الرحمانية في العهد الفرنسي وليس في العهد العثماني.

1صلاح مؤيد العقبي ، المرجع السابق ،ص175 .

2أحمد مريوش ،المرجع السابق، 104.

الطريقة القادرية:

تنسب القادرية إلى العالم المتصوف الشيخ عبد القادر الجيلالي والمعروف بالكيلاني والمتوفي في بغداد عام 541 هـ/1166م[1]،حيث توجد الزاوية الأم التي تعتمد تقاليد القادرية والمتمثلة في العلم والأخلاق والذكر وحب الناس ،فقد كان أهل القادرية يقرؤون الفاتحة بعد الصلوات الخمس ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم 121 مرة،في شكل جماعي ويذكرون عبارة "سبحان الله والحمد لله ولاإله إلا الله والله أكبر" 121 مرة ويقرؤون سورة يس لأن غايتها هي ذكر الله والابتعاد عن شؤون الدنيا.

وصلت هذه الطريقة إلى الجزائر خلال القرن 15 م كما تولى نشر مبادئها الشيخ سيدي شعيب بومدين من مدينة بجاية خلال زيارته للمشرق الإسلامي، فأخذ من أعلام علمائها و إستفاد من زهادها وأخذ عن الشيخ عبد القادر الجيلالي الذي إلتقى به في رحلته، فقد كان من أفضل مشايخه الأكابر ،وبهذا توسعت الطريقة لتصل إلى زاوية كنتا بأدرار بالجنوب الغربي من الجزائر وليس هذا فحسب بل كانت لها علاقات وطيدة بزاوية الكاف بتونس.وحسبماذكره سعد الله فإنّ الشيخ الحاج مصطفى المختاري الغريسي قد أسس سنة 1200هـ زاوية قادرية بالقيطنة وبهذا كانت مبادئ القادرية[2]،تنتشر إلى حد كبير بين الجزائريين فقد كان لها أربع فروع في الجزائر وهي منتشرة على مستوى القطر ولها 33 زاوية و521 طالبا وأربعة شيوخ و 302[3]،مقدما وبهذا التوسع أصبحت القادرية تنشر في كامل القطر الجزائري ،

1صلاح مؤيد العقبي ، المرجع السابق ،ص143 .

2 الجزائري محمد بن عبد القادر ، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر و الأمير عبد القادر ، شرح وتعليق ممدوح حقي ، ط2 ،دار اليقظة العربية ، بيروت ،ج1 1964 ، الجزائر ص113 .

3 سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،(1830-1854)، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص294.

فقد أصبحت لها زوايا عديدة وأضرحة وقباب ومساجد في بجاية وتلمسان وقسنطينة وأوقاف كثير ترسل الحجاج إلى الزاوية الأم ببغداد وواصلت هذه الطريقة نشاطها حتى القرن التاسع عشر والتي كانت سباقة في محاربة الاستعمار الفرنسي.

الطريقة الدرقاوية:

ظهرت الدرقاوية في المغرب الأقصى وهي فرع من الطريق الشاذلية، ومؤسسها الشيخ محمد العربي الدرقاوي سنة 1805 م، وإتشرت بسرعة كبيرة في الغرب الجزائري في مرحلة تفاقم الضعف السياسي في كيان العهد العثماني في الجزائر وقد كان رد فعل السلطة العثمانية عنيفا ضدها ثم إنّ الدرقاوية نفسها لم تتوانى في إضعاف العثمـــانيين[1] ،فقد هاجمتهم في عقر دارهم في إقليم قسنطينة وإقليم وهران وأحدثت هذه الهجمات جلبة كبيرة، ويقال إن الطريقة الدرقاوي خالفت تعاليم الشاذلية في الحياد والتسامح من الوجهة السياسية، أما تعاليمها فهي متفرعة عن الشاذلية وكان الدرقاويون يعلمون الناس طرق العودة إلى الإسلام الأول فكانت بذلك الدرقاوية تشبه في لباسها ومظاهرها وممارستها بكبار الصحابة فتقشفوا ولبسوا المرقعات كما كانوا يحملون السبحة والعصاوكانوا يمشون حفاة ويتحملون الجوع ويكثرون من الصدقات ويبتعدون عن أمور الدنيا،وقد تركز نشاطهم في الجزائر في منطقة الونشريس، ومن زعمائهم عبد القادر الشريف، وابن الأحرش المغربي[2]، ولها 10 زوايا و8 فروع و134 طالبا و9 شيوخ و72

1سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1 ، المرجع السابق ، ص517.

2سعد الله، المرجع نفسه، ص 518 .

مقدم و8232 من الإخوان، وبوفاة الشيخ محمد العربي الدرقاوي سنة 1823 م خلفه محمد البوزيدي وبهذا واصلت هذه الطريقة نشاطها لتشمل مناطق أوسع من ذلك حتى بعد الاستعمار الفرنسي.

وبهذا كان تأثير الطرق الصوفية على المجتمع الجزائري واضحا ولكنه يختلف من طريقة إلى أخرى حسب نشاطها ومدى علاقتها مع السلطة ونظرة المجتمع إليها ومدى تأثير جوانبها الفكرية الروحية عليه .

المطلب الثالث: أثر المتصوفة على البنية الدينية والثقافية والاجتماعية

حظي الصوفية بمكانة محترمة في المجتمع الجزائري إبان العهد العثماني وهذا لأنّ الأتراك لم يهتموا بالجانب الديني والثقافي وإنما اهتموا بالجانب العسكري لذلك كانت سياستهم مع الأهالي سلبية لأنها إرتكزت أيضا على جباية الضرائب وإثقال كاهل الشعب بها، ومن هذا المنطلق عمل الصوفية على ملء الفراغ السياسي والثقافي نتيجة الفراغ الروحي والديني الذيّ عاش في عزلة عن الإدارة التركية فكانوا بمثابة البديل عن الأتراك في الولاء والتوجيه الروحي والعلمي بعد أن كانت العلوم غير موجودة، وفي هذا الصدد يذكر القنصل الأمريكي شالر في مذكراته "وأما العلوم فإن مما لاجدوى فيه الحديث عنها حيث أنها غير موجودة أو هي متى كانت موجودة " [1]، وبهذا كانت الجزائر أواخر العهد العثماني تعيش ركود ثقافيلكن ومع قدوم هؤلاء الصوفية إستدعت الضرورة برجال الدين إلى أخد زمام الأمور لإنتشال المجتمع من حالت الجهل والبدع والخرافات التي كان يعيشها ولو أنها لم ترق إلى الحالة التي وصلت إليها البلاد الأوربية غير أنها كانت بطريقة أو بأخرى سدا وأمان للمجتمع[2]، وبهذا كان ظهور العديد من المؤسسات

1وليام شالر، قنصل أمريكا في الجزائر (1816 .1824)، تعريب إسماعيل العربي، ط1، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1974، ص81.

2 زكي مبارك ، التصوف الإسلامي في الأدب و الأخلاق ، منشورات المكتبة العصرية صيدا ، لبنان ، ج1 ، بدون سنة الطبع ، ص41 .

الثقافية من مدارس و مساجد وزوايا [1]،التي إهتمت بأمور الشريعة والدين الإسلامي، وهذا ما أشار إليه شالر بقوله: "الإسلام هو الدين الوحيد الذي يدين به الجزائريون، ولا يوجد في البلاد دينآخر ماعدا اليهودية المسموح بممارستها لليهود" [2]، وبذلك إنتشرت العلوم الدينية في المدن والقرى وحتى المناطق النائية خاصة على أيدي الطرق الصوفية التي ساهم شيوخها في نشر العلم في أوساط السكان من خلال الذكر والحلقات العلمية التي كان يحضرها العديد من الطلاب والشيوخ والتي ساهمت في نشر الثقافة وتبادل المعارف ونشر مناهج التربية الصوفية السليمة ، وكان هذا نتيجة العلاقات الوطيدة مع السكان ورغبتهم الجامحة في التعلم والتي تتجلى بصورة أكثر في العناية بالزوايا والرباطات والقباب ونحوها من مظاهر خدمة الدين وأهله[3].

من خلال ماسبق ، نصل إلى نتيجة مفادها أن الحيا الثقافية في الجزائر شهدت ركودا ، أدى إلى غلق البلاطات في وجه أهل العلم و غياب الجمهور المتعلم ، نتيجة تحول مهام المؤسسات الثقافية من مركز جهادي و ثقافي إلى مركز للخرافة و البدع و الإنزواء.

لكن و بالرغم من هذا كله إلا أن ، السلطة العثمانية لم تضطهد الجانب الديني والثقافي ، بل تركوا له بعض الحريات وخصوصا لذي الجماعات التي رأت فيها الطاعة والولاء وبهذا ،لم تكن سياستها واضحة أمام السياسة التعليمية رغم خوفها من هؤلاء المتصوفة وهذا لقوة تأثيرهم على الأهالي ، فهي لم تحارب و لم تكن ضد السياسة التعليمية المتبعة وفي نفس الوقت لم تدعمها كما يجب لها أن تفعل.

1 مجلة مؤسسة الزوايا بإقليم تواث ، العدد السابق ، ص98 .

2 وليام شالر، المصدر السابق ، ص39 .

3سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1 ،المرجع السابق، ص 262.

الفصل الثاني

التعليم ورجاله

المبحث الأول : طبقة العلماء

المبحث الثاني : أهم العلوم بالجزائر

المبحث الثالث : أشهر العلماء

كثير من الباحثين إهتموا برجال العلم لما كان لها من قيمة في الدين والسياسة وشؤون الحياة العامة وجهل الحكام هو، الذي مهد لظهور العلماء ليكون سدا منيعا أمام الفراغ الذي كان موجود بتولي العديد من الوظائف التي سنتطرق لها خلال هذا الفصل ،كون الحياة الفكرية كانت متدهورة بما في ذلك العلوم ،كالطب ، و الحساب ، والفلك[1].

المبحث الأول : العلماء وأهم العلوم

المطلب الأول : مكانة العلماء ووظائفهم

شكلت طبقة العلماء بالجزائر طبقة مميزة ومحترمة في غيرها من العالم الإسلامي لهذا تقرب منهم رجال السلطة وخشوا من بأسهم وهذا لسيطرتهم على الأهالي نتيجة جهل الحكام الأمر الذي مهد لظهور العلماء ليغطوا الفراغ كمشرعين ومفسرين، إذ أصبح شعارهم هو بأنهم حماة الدين وشبهوا أنفسهم بأنهم مصابيح الظلام، بينما لم يكن الأمر كذلك حين كان الحكام علماء والعلماء حكام[2].

كان الحكام العثمانيين في الجزائر غرباء عن الثقافة العربية وعن تاريخ الحضارة الإسلامية و التشريع الإسلامي هو الذي جعلهم ،كولاة وسلاطين يتدخلون في شؤون الحكم ، من سياسة واقتصاد وجيش و إدارة ، تاركين القضايا الأخرىالتي لها مساس مباشر بالدين في أيدي فئة أخرى هي فئة العلماء ، وهكذا بدؤوا في تطبيق القوانين الوضعية والشريعة الإسلامية ، وهو ما قصد به الأوربيون فصل الدين عن الدولة وهكذا بدا الفصل في تطبيق الأحكام في الدولة الإسلامية الواحدة التي من المفروض أن ولاتها

1SHAW,op,cit,P85.

2سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ،ج1 ، المرجع السابق ،ص338 .

يمثلون الدين و الدولة معا، و بهذا أصبح للحكام مجالهم الخاص في التنفيذ كما أصبح للعلماء مجالهم لذا كلمة العلماء تعني رجال الدين بالمعنى الأدق أو رجال الشريعة لان الحياة الفكرية كانت دينية صوفية في آن واحد [1]، كانت فئة العلماء بالجزائر عربية بإستثناء القضاة و المفاتي الأحناف وبهذا نخرج بثلاثة أصناف للعلماء بحسب سعد الله :صنف يمثله العلماء الموظفين والفقهاء المستقلين الذين لا صلة لهم بممارسة التصوف العلمي ، والصنف الثاني العلماء الذين غلب عليهم التصوف ، أما الصنف الثالث فيمثله المتصوف الذين كانوا يدعون العلم و الذين ساعدتهم الظروف السياسية و الإقتصادية على الظهور و إستغلال العامة [2]،ولم تطمح فئة العلماء الى مناصب سياسية بل إكتفت بالمناصب العلمية و الدينية وبهذا إكتسبت فئة العلماء إمتيازات بفضل توليها للتدريس والمهام القانونية والشرعية لكنها أساءت لنفسها ببحثها عن الغنى والمتعة [3]، وما يمكن قوله حول هذه الفئة أنها تولت مناصب عديدة نذكر من بينها :

1. الإفتاء :مما لا شك فيه أنها أعلى وظيفة يتلوها العالم ، فهي تحتاج إلى درجة عالية من العلم و التعمق في مسائل الفقه ومعرفة قوية للقرآن وعلومه و نحوى ذلك .

كما تتطلب الصلاح والشجاعة في الرأي و الثبات على قول الحق لأن المفتي هو المترجم للشريعة وهذا من خلال إصدار الفتاوي في الأمور الدينية ، غير أنه بالرغم من هذا النفود لم يكن للعلماء سيطرة

1إبن ميمون،المصدر السابق ، ص48 .

2 سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، ص 481 .

3سعد الله ،نفس، المرجع نفس الصفحة.

على الأمور السياسية [1]،بالرغم من مما كانوا يتمتعون به من نزاهة و قوة الشخصية [2]،و وظائف عديدة مثل التدريس ووكالة الأوقاف والإمامة والخطابة وغير ذلك من الوظائف،ولم يكن الإفتاء بالجزائر وظيفة رسمية إلا بعد قدوم العثمانيون اللّذين جعلوا الفتوى على مذهبين :مذهب الإمام أبي حنيفة و مذهب الإمام مالك وجعلوا المذهب الأول هو المذهب الرسمي لأنهم كانوا أحنافا وكان سلاطين آل عثمان يعينون الباشا وكذلك القاضي الحنفي مدة سنتين ويرسلونهما لتمثيلهم في الجزائر وفي هذا الصدد نذكر من بين أشهر العائلات التي كانت تمارس الإفتاء الحنفي عائلة إبن العنابي ونذكر من هذه العائلة محمد بن محمود بن حسن العنابي ، أما في الإفتاء المالكي فنخص الذكر بعائلة قدورة [3]، ونذكر أيضا من هذه العائلة سعيد بن إبراهيم بن عبد الرحمن[4].

2 – **القضاء** : ويعد الوظيفة الثانية في الأهمية بعد الإفتاء ، وظلت ولا تزال تظل وظيفة القاضي الحنفي هي الأساس وذلك منذ العهد العثماني لأنها كانت وظيفة سياسية دينية ، هذا وكانت ولاية القاضي غير محددة [5]،وظيفة القاضي تعتمد على التنفيذ و الممارسة بالدرجة الأولى وهذا بحكم اتصاله المباشر مع المجتمع ومشاكلهم اليومية التي لا تنتهي من خصومات حول عقود البيع و الشراء عقود الزواج،الطلاق أو عقود الوقف و الكراء وكل ما شابه ذلك ، لذلك كان البعض من الفقهاء يعتذرون عنها خوفا من عدم القدرة على القيام بمتطلباتها وتقديرا منهم لخطورتها .

1RINN,Marabouts et khouans,Etudesur L'islam en Algérie,A,jourdan ,Alge,1884,op,cit,pp10.

2سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، ص391 .

3 سعد الله ، نفس المرجع ، ص 259 ,

4ينظر أبو عمران الشيخ وناصر الدين سعيدوني ،معجم مشاهير المغاربة ،الموسوعة الوطنية للطباعة ، الجزائر 1995 ،ص 437

5 نور الدين عبدالقادر،صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى إنتهاء العهد التركي،مطبعة البعث، قسنطينة1965 ص213

ومع الباشوات كان قدوم القضاة إلى الجزائر للحكم بمقتضى المذهب الحنفي، لذلك أصبح في الجزائر قاضيان أحدهما للمذهب الحنفي والآخر للمذهب المالكي ، وتحت هذين القاضيين مجموعة من القضاة المنتشرين في أنحاء الأقاليم، بالإضافة إلى ذلك كان هناك قضاة يتبعون الحملات العسكرية في الداخل والغزوات البحرية في الخارج وكانوا يسمون بقضاة العسكر، أما الإنكشارية فكان لهم قاضي خاص بهم[1].

3 – الخطابة: وتأتي الخطابة بعد القضاء في المرتبة الثالثة ، ومن بين الشروط التي لابد أن تتوفر في الخطيب ، جودة الصوت وفصاحة اللسان والجرأة الأدبية بما في ذلك سعة الإطلاع وأحيانا يعمل كإمام ، إذ يؤدي صلاة الجمعة وصلاة العيدين بما في ذلك الصلاوات الخمس ، ولأهل الحي دور في إختيار هذا الأخير ليكون خطيب جامع حيهم ، غير أنه بالرغم شروط الخطابة إلا أنه يوجد هنالك من تولى هذا المنصب و هو جاهل بها أمثال ، أحمد بن حسن الغربي ومحمد بن نعمون وأحمد أبو عكاز الذي تحدث عنهم الفكون في منشوره وكان حكمه قاسيا عليهم إذ لم يترك وسيلة تشنيع وتعرية إلا ولجأ إليها ، ولم يترك في قلمه قطرة حبر إلا أهرقها من أجل ذلك الهدف بل إنه إلتجأ في ذلك أيضا إلى الله يطلب تسليط أقسى العذاب على هؤلاء في الدنيا و الآخرة [2]،وكان للعياشي موقف خاص ايضا حول الخطابة والإمامة إذ تحدث في رحلته كيف أنها كانت تنال بالشراء فإذا مات صاحبها دفع الراغب فيها مالا لتولي المنصب [3]، وما أكثر النماذج على ذلك .

1وليام سبنسر ،المرجع السابق ن ص107 .

2 ينظر، عبد الكريم الفكون ، منشور الهداية ،المصدر السابق،1987 ، ص13 .

3 أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي ، الرحلة العياشية (1663.1661) ، المجلد 1 ، تحقيق وتقديم ، سعيد الفاضلي وسليمان القرشي 2005،ص21 .

4 . الكتاب:كان لهم مستوى ثقافي راقي ، فقد كان أصحابه يكتبون للباشوات والد ايات ويسجلون أخبارهم وأعمالهم من معاهدات ومفاوضات وكان تعينهم من طرف الداي الذي كان له أربعة كتاب وهم على الشكل التالي :

4– أ – الكاتب الأول : وهو يشترط فيه أن يكون عالما وفقيها ،ويلقب بأفندي و هو الذي يحفظ سجلات محاسبات الدولة وماتحتويه من رواتب الجند وغير ذلك من المهام المخولة إليه[1].

4– ب– الكاتب الثاني: أو الدفتردار، مهمته مراقبة مخازن الدولة وإحصاء وتسجيل مصادر أموال البلاد.

4–ج– الكاتب الثالث :ينحصر ميدان عمله على الأمور الخاصة بالبحر إذ يقوم بتدوين الغنائم المتحصل عليها من البحر .

4–د–الكاتب الرابع:ويسمى بالرقمجي، وهو مكلف بالقضايا الخارجية للبلاد[2] .

5 –المدرس :تنتشر هذه الوظيفة في الأرياف و المدن ففي الريف يعينه أهل الحي، أما في المدن فكان يعين من طرف الباشا ، ومن بين المدرسين نذكر أحمد العباسي وعمر الوزان [3] ،ويمكن للمفتي أو الخطيب تولي التدريس ، و العكس غير صحيح .

1 حمدان خوجة ، المصدر السابق ، ص129 .

2 ينظر ،شدري رشيدة معمر ،العلماء و السلطة العثمانية،المذكرة السابقة ،ص75 .

3سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي ،ج1،المرجع السابق ، ص349 .

المطلب الثاني : علاقة العلماء بالحكام

كان العلماء على صلة دائمة بالناس ، فقد كانوا يمثلون الرأي العام [1]، من خلال مجالس الفتوى والقضاء وخطب الجمعة ونحوى ذلك ولهذا كان الناس يثقون في رجالا الدين أكثرما كانو ايثقون في رجال السياسة والحرب ، وهذا ماجعل السلطة في بعض الأحيان تخشى هذه الفئة غير أنه لم يكن في مقدورها الاستغناء عنها خاصة في مجالات الحكم كالإدارة وضمان ولاء الأهالي ، ولهذا سعى العثمانيون للتقرب منهم خشية من بأسهم وفي نفس الوقت فإن العلماء بدورهم كانوا في حاجة إلى الحكام رغبة منهم في الإرتقاء إلى مناصب ذات شأن أعلى وجمع الأموال ، وبهذا كانت العلاقة في الواقع علاقة مطردة ، فإذا وقع نفور من أحد الطرفين أو معاملة غير جيدة فذلك يعود إلى تصرف الأفراد في فترة معينة وليس إلى العلاقة في حد ذاتها [2]،هذا من جهة ومن جهة أخرى كان العلماء يتدخلون في شؤون الحاكم بطريقة غير مباشرة كأن يقوموا بالنصح و الإرشاد وتوضيح ماهو ديني وماهوغير ديني و كان العلماء يغتنمون الفرصة لكي يطرحوا قضاياهم الخاصة كحرمانهم من مال الأوقاف وسوء أحوالهم المادية لأن الأوقاف كانت مصدرا ومكسبا لمعاشهم ، إضافة إلى الأجور الشهرية التي يدفعها السكان ، وبهذا فنفقات الأمور الثقافية لم تكن تكلف السلطة إلا القليل من الأعباء مقارنة مع مصاريف الجند التي كانت محطة إهتمام من قبل السلطة بشكل خاص و الدولة بشكل عام [3] .

1 محمد بن ميمون الجزائري ، مصدر سابق ، ص47 .

2سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ،ج1 ، المرجع السابق ،ص ص 409-410 .

3سعيدوني ناصر الدين ، النظام المالي للجزائر في آواخر العهد العثماني (1792-1830)،ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1985 ص138 .

في حين أن البعض الأخر من الشعراء استعمل الأشعار لطرح الفساد الإجتماعي وحرمانهم من حقوقهم بغية تحقيق الباشا العدل الذي يعم الغنى و الفقير [1]، وفي هذا الصدد نذكر الشاعر محمد بن آفوجيل الذي تحدث عن هذا بعبارة دامغة وهي قوله "إني نصحتك و النصيحة ديننا " والباشا هنا لا يستطيع إن يرفض هذه النصيحة رغم أنها تؤديه خاصة و أن هذه القصائد كانت تجد صدى كبير في أوساط المجتمع وتتناقلها الأجيال، ومن هذه القصائد نذكر أشعار أحمد البوني إلى محمد بكداش وعندما يقرأ المرءالبعض من هذه الأفكاريلاحظ إنها جاءت علي شكل تقرير ، مثل الحديث عن أحوال عنابة إذ تمكن البوني من إعطاء الباشا صورة حية عن بلاده ونواحيها بقوله[2]:

ياحاكم الجزائر ياأنس نفس الزائر

أريد أن أخبركم أدام ربي نصركم

بحال هذه القرية بالصدق لا بالفرية

قد صال فيها الظالم وهان فيها العالم

خربت المساجد وقل فيها الساجد

وقال أيضا:

وأهملت أسعارها وبدلت شعارها

والشرع فيها باطل والظلم فيها هاطل

1 أبو القاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي ج4 ،دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،2005 ،ص197 .
2 ينظر ،سعد الله ،مرجع سابق ،ج1،ص414 .

ولعل هذا مايفسر تقرب البعض من الباشوات من العلماء ومراعاتهم ، إما حبا في الدين و العلم وإما طمعا في تأيدهم وإما حبا في المدح والثناء ،وبهذا كان الباشوات لايتقربون من العلماء إلا عند الحاجة القصوى وقد عرفنا سابقا كيف أن طابع الحكام العثمانيين تميز بكونه إداري وحربي [1]، لذلك كانوا يقومون بحمايتهم سواءا ماديا أو معنويا [2]،لهذا حظي العلماء بمكانة خاصة عند الحكام وعملا بمبدأ ترضيتهم أسندت لهم معظم المناصب البسيطة في الإدارة ن ففي المدن مثلا نجد منهم القضاة والقائمين على المساجد ن أما في الريف فقد كانوا يمثلون دور الوساطة بين السلطة والاهالي لهذا اتخذ الأتراك سياسة شرعية بحيث لم يرتبطوا بهم بروابط رسمية قد تهدد مصالحهم ،بل أحاطوهم بالإحترام وفي نفس الوقت إتخدوا الحيطة منهم لأنهم كانوا يمثلون قوة فكرية وروحية مكنتهم من حل العديد من المشاكل وربما يرجع هذا أيضا إلى النزعة السياسية التي كانوا يقصدون من ورائها الإستلاء على قلوب الرعية، وفي هذا السياق نتحدث عن دور الوساطة الذي أسندته السلطة للعلماء حيث كانوا القوة الوحيدة التي تلجأ إليها لكسب طاعة الرعية خصوصا في المناطق الغير خاضعة كمنطقة القبائل كما سعت السلطة أيضا إلى إستمالتهم لإستخدام نفودهم الروحي في إستخلاص الضرائب التي كانت تلقى رفضا كبيرا من الأوساط الشعبية[3]، كما لجات إليهم السلطة أيضا في الاوقات الحرجة لتساعدهم في عمليات التجنيد خاصة أثناء الغارات الإسبانية على السواحل[4].

1 عمار عمورة ،الجزائر بوابة التاريخ ، ج1 ،ص237 .

2 مجلة الدراسات التاريخية ،العدد السابق ،ص83 .

3 أحمد مريوش ، المرجع السابق ، ص120 .

4المدني احمد توفيق ، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا (1492-1792)،عالم المعرفة ،الجزائر ،1986 ، ص 409 .

من ذلك نذكر من بين الذين كانوا يهتمون بالتقرب من العلماء يوسف باشا [1]، فقد كان يعفوا المرابطين الأشراف من دفع الضرائب ويهادنهم و يكرمهم .

هكذا نجد أن علاقة العلماء بالسلطة لم تكن واحدة ، فيمكن أن نميز ثلاثة موافق واضحة بين الطرفين **القسم الأول**: بارك الوجود العثماني وخدمه منذ البداية وحتى النهاية ، وكانت الثقة متبادلة بين الطرفين فعلى سبيل المثال وبحسب أحد الروايات التي ذكرت أن عروج قد تحالف مع أحمد يوسف المليانى أحد أقطاب الطريقة الشادلية من أجل بسط نفوذه في القطاع ، الغربي شريطة حمايته .

أما القسم الثاني : فقد عارض العلماء المتصوفة هذا النهج الذي عمل به العثمانيون و إعتبروه تسلطا ومن ثم أشهروا في وجوههم المقاومة ، وفي هذا السياق ذكر الشريف الزهار أن مرحلة محمد عثمان باشا (1766-1791م[2]، كانت فترة تمردات ضد العثمانين[3] .

أما القسم الثالث :فهو معتدل ،لأنه كان يهتم بتقديم النصائح و التوجيهات للسلطة العثمانية بطريقة ودية وبدون خلاف ، ومن أمثلة ذلك علاقة الشيخ العبدلي في إقليم تلمسان ، والذي كان على علاقة دائمة بالقائد العثماني محمد بن سوري في مقره ، ونفس المعاملة تلقاها باي قسنطينة حسن

1فايست اوجين ، تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي (1792 -1873)،تحقيق صالح نور ،ط1 ،دار قرطبة للنشر و التوزيع الجزائر ،2010 ، ص129 .

2الزهار ، المصدر السابق، ص28 .

3عزيز إلتر سامح ، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية ، تر محمد علي عامر ، ط1 ،دار النهضة العربية ،بيروت ، 1989 م ، ص621 .

بوحنك مع المرابط الشيخ الشليحي الذي وجد تجاوبا مع العثمانين، ومن ثم أنشأ له الباي زاوية في منطقة أولاد عبد النور ،كما أعفاه من تسديد الضرائب التي كانت تفرض على الأهالي[1].

ومن خلال هذا كله نلتمس وجود علاقة بين العلماء و السلطة تميزت من جهة بالإحترام والتقدير و المفاهمة [2]،ومن جهة أخرى تميزت بالتوتر والتمردات ومحاولة إحداث القطيعة بين الطرفين .

المطلب الثالث : هجرة العلماء

منذ أواخر القرن 17م اتصفت سياسة الحكام بمعاداة العلماء ومحاولة إخضاعهم ، وبهذا إتجهت سياسة الحكام إلى مد نفودهم نحو الداخل متتبعين في هذا أسلوبا يعتمد على القوة وعلى عدم مراعاة ظروف الأهاليوتجاهل رأي العلماء ، فالتحالف الطبيعي الذي سبقت الإشارة إليه لم يتواصل إلى نهاية الوجود العثماني بالجزائرإذ طرأت عليه تغيرات جذرية حالت دون استمرار الاعتماد على العلماء خاصة في الوساطة بينهم وبين السكان وبما أنهم شكلوا تهديدا عليهم عملت على إبعادهم متخذة في هذا إجراءات عديدة بالتالي كانت هجرتهم إلى خارج القطر الجزائري ،ومن هنا سنخص حديثنا عن نوعين من الهجرة الخارجية ،الهجرة المؤقتة والهجرة الدائمة ،فأما الأولى فقد كانت لطلب العلم أو مجاورة بيت الله الحرام، وأما الثانية فقد كانت أغلبها هروبا من أوضاع غير مرضية وسنعرف المزيد عن هذا من خلال ذكر بعض أسباب الهجرة التي كانت ترجع إلى عوامل سياسية واقتصادية ودينية وثقافية ، فقد هاجر

1سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ،ج4 ،ص194 .

2. RINN,Marabouts et khouans,p455 .

بعض علماء الجزائر ولاسيما من تلمسان ونواحيها إلى المغرب عقب استيلاء العثمانيين [1]،على مملكة بني زيان وهذا لعدم توفر ما يسمى بالاستقرار السياسي ،مما جعل العلماء لا يشعرون بالأمن و الجو الملائم للإجتهاد لهذا هاجر العديد منهم مع عائلته تاركا دياره من أجل البحث عن سبيل أفضل للعيش . ومن أشهر من هاجر في تلك الظروف أحمد الونشريسي وبهجرته هذه فقدت البلاد قطبا من أقطاب الحياة العلمية ، إذ ذكر عنه معاصروه بأنه كان "شاعرا مجيدا لا يقارعه أحد من أهل عصره " وترجع الهجرة أيضا إلى تقهقر العلاقة بين العلماء و السياسة العثمانية التي بدأت تفرض سياسة ضريبية مجحفة في حق السكان خاص وأن العثمانين ركزوا طيلة وجودهم في الجزائر على تطوير الجهاز الجبائي وضمان مصالحهم ، هذا ما أدى إلى تأليب الأهالي ضدهم،و على رأسهم العلماء وبهذا كانت النتائج وخيمة وفي هذا الصدد يذكر إبن سحنون "وفرضوا على الناس المغارم شتاءا وصيفا وعينوا للجند عطاء مخصوصا وضربوا عليهم البعوث تخرج كل سنة [2]،ومن أسباب هجرة العلماء الجزائريين أيضا ،تورط بعضهم في المشاكل السياسية المحلية ، و قد حدث هذا لإبن الترجمان علي بن محمد الجزائري الذي كان من أحد أذكياء عصره[3] .

1 عمار عمورة ، المرجع السابق ،ج1 ،ص211 .

2إبن سحنون الراشدي أحمد ، الثغر الجماني في إبتسام الثغر الوهراني ،تح ، المهديالبوعبدلي ، مطبعة البعث ، الجزائر ،1973 ص442 .

3 الجبرتي عبد الرحمان حسن ، عجائب الآثار و التراجم والأخبار ، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم ، مطبعة الكتاب المصرية ،القاهرة 1998م ،ص178.

إذن فأغلب الرحلات كانت هروبا من الأوضاع المزرية التي كان يتعرض لها العلماء من سجن وتشريد ونفي عن الوطن [1]،ونتيجة لهذه الفتن التي كانت تعصف بالجزائر تراجعت بوادر الإنتاج الثقافي ومنه التعليم ، خصوصا في المدن الرئيسية سيما تلمسان ، وقسنطينة ، وحتى الأرياف لم تسلم هي الأخرى من هذا التراجع في النتاج الثقافي بدرجة كبيرة وهذا لبعدها على يد الحاكم العادل و إقترابها من القيادات المحلية المتعسفة في الضرائب و الرشاوي والفساد الإداري[2]، وفي هذا السياق أطال عبد الكريم الفكون الحديث عن رجال العلم وما كانوا يتعرضون له من فتن[3]،وبهذا تراجع التعليم في العديد من المدن سواءا في غربها أو شرقها فظهر ما يسمى بالرحلة العلمية التي ظهرت بسبب نشاط أصحابها في طلب العلم أو زيارة البقاع المقدسة بغية تأدية فريضة الحج وفي نفس الوقت إغتنام الفرصة للإحتكاك بالمشائخ هناك و الأخذ والعطاء منهم كونها محطة إلتقاء العديد من العلماء و الطلبة [4]، في حين أن البعض كان يفضل الترحال و التنقل من بلد لآخر بمقصد التجارة أو معرفة ثقافات جديدة بما في ذلك العادات والتقاليد ومعرفة المسالك والممالك ، ومن المشهورين الأوائل في طلب العلم نذكر عاشور بن موسى القسنطيني الملقب بالفكرين،حيث تنقل عاشور إلى بلاد السودان و تونس وحج وتولى وظائف التدريس خاصة في تونس،ولما حصل على مستوى لابأس به من التعلم على يد كبار المشايخ أمثال عبد الكريم الفكون آثر الرحيل إلى المشرق ليواصل مسيرته إلى مصر والحجاز ليتعرف أكثر على الشعوب و أجناسهم ومن هنا نجد،أن هناك من الرحالة من إهتم بتدوين رحلته في حين أن البعض الأخر إكتف

1 نادية طروش ، المرجع السابق ، ص143 .

2 أبو القاسم سعد ، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر ، دار الرائد ،ج5 ، الجزائر ،2009

3الفكون ، المصدر السابق ،ص9

4عبد العزيز بوكنة ومجموعة أخرى ،مجلة الدراسات التاريخية ،العدد1433،13هـ/2011 م ،الجزائر ،صص81-82 .

بسردها شفويا .وفي هذا الصدد يؤكد المؤرخ الرحالة عبد الرحمان بن خلدون على أهمية الرحلات في إثراء معارف المتعلم فيقول :"الرحلة لابد منها في طلب العلم لإكتساب الفوائد والمال و بلقاء المشائخ ومباشرة مع العلماء " [1].وتطول بنا القائمة لو حاولنا إستقصاء العلماء الذين هاجروا وقضوا حياتهم في المهجر، فالأسباب عديدة لكن يبقى الهدف واحد غير أن بعضهم كان يعود إلى وطنه كمحمود المقايسي و أبي راس الناصري ومحمد الزجاي ، في حين أن البعض كان يفضل البقاء في مهجره[2].

1 عبد الرحمان إبن خلدون ، ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر ومن عاصرهم من دوي السلطان الأكبر ،دار الفكر للطباعة،بيروت2004 ص560 .

2 سعد الله ، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر،ج3 ، المرجع السابق ، ص186 .

المبحث الثاني : العلوم بالجزائر خلال الدايات

المطلب الأول : الحركة النسخ والتأليف

عرفت الجزائر حركة النسخ في الجزائر قبل و أثناء العهد العثماني فقد تميز الناسخون قبل مجيء العثمانيين بإتقان صناعة الوراقة والسرعة والمهارة في التوثيق والدقة في العمل وبجودة الخط ، وبهذا أصبحت حركة النسخ تتم بخطين هما ، الخط الأندلسي و العثماني لكن الأول طغى على الثاني لأن اللغة العثمانية كانت لغة الإدارة و المعاهدات والرسائل الدولية بالدرجة الأولى[1].

وقد إشتهرت قسنطينة ببعض النساخ والخطاطين حتى قارنهم بعض الكتاب بابن مقلة في حسن الخط،ومن هؤلاء أبو عبد الله بن العطار والذي عرف بجودة الخط وكان يقصده الخاص و العام في الوثائق و العقود ،و إشتهر محمد الزجاي بالنساخة حتى أصبح له فيها مهارة ، ومن مهاراته أنه كان يكتب و يحدث الجالس بدون زلة قلم [2]، وذكر الورتلاني أن أحمد التليلي كان بديع الخط سريع اليد وكأنه كان ينسخ كراسا من القالب الكبير أثناء السفر، وكان النسخ بالخط الأندلسي الذي قال عنه إبن خلدون أنه قد تغلب على الخطوط الأخرى في المغرب العربي و هو المعروف اليوم بالخط المغربي ، وعلاوة على ذلك ظهر مايسمى بالخط العثماني وهذا مع قدوم أهل العلم الذين دخلوا بالجزائر. وتذكر بعض المصادر إلى أنه كان بالجزائر بعض المهتمين بصناعة الكتب من وراقة ونسخ وتجليد ونحوى ذلك من مستلزمات هذه المهنة التي كانت تسهل حركة التأليف وبهذا لا تكاد تجد عالما إلا وله مجموعة من

1أحمد مريوش ، مرجع سابق ، ص30-31 .

2أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، مرجع سابق ، ج1 ،ص290 .

المؤلفات التي هي عبارة عن شروح و حواشي و رسائل وفهارس في علوم متنوعة ، تتصدرها بطبيعة الحال العلوم الشرعية ، ويورد الفكون أنه من بين الذين كانوا مهتمين بهذه الصنعة الطالب محمد النقاوسي الذي كان سمسارا في الكتب في قسنطينة [1] .

أما في ما يخص التأليف فمنهم من كان يؤلف وهو في الجزائر ومنهم من كان يفضل التأليف في مهجره لملائمة الظروف هناك ،ومن أشهر المؤلفين يذكر سعد الله عبد الرحمان الانصري و أحمد البوني و إبنحمادوش وأبو راس وأحمد المقري ،وتطول بنا القائمة لو حاولنا استقصائهم كلهم ، غير أنه لابأس بذكر بعض المؤلفات إذ ألف المقري موسوعة عن تاريخ الأندلس "نفخ الطيب " وهو في مصر و ألف "أزهار الرياض " وهو في المغرب الأقصى .

بطبيعة الحال كانت حركة التأليف تلعب دورا هاما في نمو المكتبات ، وهنا تجب الإشارة إلى أن زيارة البقاع المقدسة و الرحلة في طلب العلم كان لهما الأثر البالغ في إنتشار حركة التأليف و النسخ [2]، وإقتناء الكتب ،التي لم تكن مقصورة على الأغنياء والأمراء فقط ،بل كانت تشمل حتى فقراء العلماء هذا من جهة ، ومن جهة أخرى كانت تونس معبرا ومدرسة للجزائرين فهم يتصلون بعلمائها ويتبادلون معهم مختلف التآلف و الإجازات ونحوى ذلك . وبالرغم من أن السلطة العثمانية لم تهتم بالجانب الثقافي كما يجب غير أن هذا لا ينفي عدم وجود من يدعم هذه الحركة الثقافية ، إذ يعد الباي محمد الكبير [3]، من أشهر البايات الذين شجعوا هذا العمل الجاد ،إذ أمر بإختصار الكتب المطولة ، ونسخ المخططات

1الفكون ، المصدر السابق ، ص27 .

[2] سعد الله ، المرجع السابق ، ج1 ،ص294 .

[3] أحمد توفيق المدني ، محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766-1791)، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،1986 ،ص141 .

النادرة النفيسة وبعث التعليم في علوم شتى مع تكريم القائمين بذلك من الطلبة الأكفاء و العلماء النزهاء ، إذ كان يجيز كل واحد منهم بسخاء حسب عمله وجهده المبذول ، وبهذا أثمرت جهود الباي محمد الكبير في إعداد رجال تركوا مصادر تاريخة تفيد كل باحث أو طالب مهتم بهذا الجانب[1].

المطلب الثاني:الأدب الشعبي

كان إنتاج اللغة العربية ينحصر في الموضوعات الدينية والتعليمية وقليلا من الشعر وهذا لضعف العربية الفصحى بين الناس خاصة وأن الدولة قد اتخذت اللغة التركية لغة رسمية وبهذا كان المجال مفتوح إلى ما يسمى بالأدب الشعبي وهذا نتيجة لضعف الثقافة العربية [2]، بل إن ضعف الثقافة بالمفهوم الأول هو الذي ساعد الأدب الشعبي على الإنتشار و الديوع ، فهو من الناحية الجدلية ضد الثقافة ودليل على إنحطاطها ،إذ أنه في الوقت الذي كان فيه لزاما لهذه الأخيرة من أن تأخذ إنطلاقة جيدة شاع الأدب الشعبي بشكل كبير و الذي أصبح ميدانا للتعبير عن خلجات الشعب من حب وتأمل وحنين والشكوى من الزمان و أهله أي من الظلم والحرمان ، و لكن بطريقة ساخرة أحيانا[3]، وبهذا كثر الروائيون الذين وجدوا في أبطال الإسلام والجاهلية و شخصية جحا وسيلة للتعبير عن الأمور بطريقة خيالية والتي كانت تجلب إنتباه الصغير والكبير، فظهر ما يسمى بالشعر الذاتي الذي كان يعبر عن مشاعر النفس الدفينة و الميولات النفسية ، والمدح و الفخر وما إلى ذلك ، ولدينا من عند سعدا لله نماذج عديدة نذكر

1 أحمد مريوش ، المرجع السابق ،ص ص 31 -32 .

2 سعد الله ،محاضرات في تاريخ الجزائر ،المرجع السابق ،ص 159 .

3 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1854)،ج4 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 2005 ، ص287 . أحمد مريوش ، المرجع السابق ،ص ص 31 -32 .

من بينها الشيخ عبد القادر الجزائري والطيب بن المختار و إبن التهامي [1]، وحمدان خوجة ، غير أن سعد الله يورد بأن شعره كان ضعيفا [2].

لعب الشعر الشعبي دورا بارز في عمليات الجهاد وذلك من خلال الأبيات التي تدعوا إلى عمليات الجهاد والفتوحات فقد كان العلماء و الشعراء يضغطون على العثمانيين للقيام بذلك ، و لكن الظروف الدولية لم تكن مساعدة بشكل كبير للعثمانيين على ذلك ، وبهذا أنبر الشعر الشعبي لينوه ببركة الأولياء و الصالحين الذين ساعدوا في نظر الشاعر على تحقيق النصر أمثال الوالي داده ،وسيدي الجودي وسيدي جمعة وسيدي الكتاني و الثعالبي و غيرهم من حماة مدينة الجزائر و حراسها اليقظين ،كما نوه الشاعر بهذه المناسبة بالسلطان،والقصيدة طويلة وقائدها مجهول كمعظم أصحاب الشعر الشعبي في الجزائري[3].

المطلب الثالث : أهم العلوم

إذا كان الحكم على إزدهار الحياة الثقافية في عصر من العصور يقوم على تقدم العلوم فيه ، فإن العهد العثماني في الجزائر يعتبر فقيرا في هذه الناحية ، فإذا عدنا إلى دراسة الإنتاج العلمي وجدنا منه كمية ضئيلة من الإنتاج أواخر العهد العثماني مقارنة مع القرن الخامس عشر الميلادي .

1 – **الطب** :عرفت العلوم الطبية إهتمام واسع وكبير مقارنة مع العلوم الأخرى(ما عدا الفلك) ذلك أن الإنسان كان في حاجة إلى المعالجة ،وهنا تجب الإشارة إلى أن الإيمان بالقضاء والقدر في هذا الجانب

1سعد الله ، المرجع نفسه ،ص288 .

2 أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الحديث (بداية الإحتلال)،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر 1982 ،ص 166 .

3 سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، ص ص204-205 .

كان مسيطرا على العقول بشكل كبير ، ومع ذلك فإن الخرافة قد إختلطت بالطب في غالب الأحيان فالعامة كانت تؤمن بالتداوي بالشرب من بئر معينة ، أو بزيارة ولي خاصة النساء إذ كان يؤمن ببعض الأسباب غير للبرء من العقم وحفظ الولاء بين الزوجين ونحوى ذلك[1].

كانت الجراحة الباطنية شبه معدومة ، إذ كانت الأدوية الشائعة تتناول الجانب الخارجي من جسم الإنسان والتي يقوم العلماء بتركيبها من النباتات المتوفرة في البلاد و يستعملون وسائل الكي و الحجامة ونحو ذلك وبذلك وضعوا مجموعة من الوصفات للتغلب على بعض الأمراض الشائعة كوجع المعدة والرأس ووجع المفاصل ، كما عينوا أدوية خاصة للتغلب على السموم و التأثيرات الخارجية الأخرى وقد وضع أحمد البوني في مؤلفاته نماذج حية عن ذلك ، وقد لاحظ الأوربيين العناية بأنواع العلاج الخارجي في الجزائر،فقد كان الجزائريون يتغلبون على الحمى بنبات الشندقورة و الجروح بصب الزبدة الساخنة وغير ذلك من الأدوية وقد فصل إبن حمادوش في معجمه(كشف الرموز)، بعض أنواع النباتات والعقاقير وكمياتها وطريقة إستعمالها ، كان كبار المسؤولين في الدولة يهتمون بشؤون صحتهم الخاصة ويصنعون لهم الأطباء الأدويةلكنهم لم يشجعوا دراسة الطب في المدارس ولم يهتموا به بشكل كبير إذ كانوا يهتمون بالأسباب العالجة فقط ، بإستثناء بعض البايات ، فقد عرف عن صالح باي أنه قد إشترى طبيبا إيطاليا يدعى باسكال قاميزو لأنه كان مهتما بهذا الجانب ، شأنه شان الباي محمد الكبير الذي كان يشجع العلماء على التأليف فيه و إختصار المطولات منه [2] ، لكن بالرغم من هذا لم يكن هنالك مستشفيات

1 عمار عمورة ،الجزائر بوابة التاريخ ،ج2 ،المرجع السابق ،ص179 .

2 أحمد توفيق المدني ، محمد بن عثمان باشا ،المرجع السابق ،ص142 .

باستثناء الزوايا التي كانت تأوي العجزة والمرضى [1]، وكان المرجع في هذا الميدان كتب الأقدمين كإبن سينا وكان الأطباء هم غالبا مرابطون كانوا يداو ون بالجن والأرواح وليس بالعلم إلا أنه عند دخول الفرنس يين سنة 1830م أصبح الطب حملة حضارية وسياسية وألغوا فكرة العلاج بالأرواح والشعوذة[2].

2- الحساب و الفلك :عاش علماء الفلك و الحساب على تراث القرن التاسع ، ولولا بعض الأعمال التي كتبها عبد الرحمان الأخضري و سحنون بن عثمان الونشريسي وإبن حمادوش لخلى هذا العهد من التأليف في العلوم الحسابية والفلكية ونحوها،ومع هذا فإن هؤلاء كانوا يستمدون موادهم من تراث الحباك والسنوسي ، وإبن القنفد و القلصادي ، فقد ظلت قصيدة علي بن أبي الرجال القيرواني في الفلك وشرح أحمد بن القنفد عليها مصدرا هاما للمهتمين بهذا العلم ، وكأن العقول تحجرت في العهد العثماني وأصبحت تستوحي من الأعمال السابقة ما تحتاج إليه من غداء، وبالإضافة إلى ذلك كان عمل إبن البنا في الحساب وشرح الحباك وشرح إبن القنفد وكذلك شرح عبد الواحد الونشريسي عليه هي المادة التي يعود إليها طلاب الحساب وعلماءه ، ولكن مهما أجاد إبن البنا و فإن جمود العقول عند هؤلاء العلماء وعدم الإستفادة من العلوم عند الأوربيين مثلا يعتبر ظاهرة غريبة في حد ذاته ، وقد مهر في الحساب بعد إبن البنا ، علي القلصادي ،ولكن آثاره في الحساب طمست ،كما طمست مقدمة إبن خلدون في العلوم الإجتماعية فلم يستفد علماء العهد العثماني من عبقرية هذا ولا نبوغ ذاك[3].

1عمار عمورة ،الجزائر بوابة التاريخ ،ج2 ،المرجع السابق ،ص179 .

2 سعد الله ، تاريخ الجزائر الحديث ،المرجع السابق ،ص ص 168-179 .

3سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ،ج2، المرجع السابق ،ص ص404-405 .

من علماء الجزائر الذين أسهموا في الفلك محمد بن أحمد الصخري الأندلسي ، الذي كان مولع بالأشكال الهندسية و دوران الكواكب ونحو ذلك،ومن جهة أخرى ألف أحد الجزائريين رسالة في الفلك سماها الحاشية الإختصارية الرملية الفلكية وهو علي بن حسن الجزائري،وفي هذا الباب أيضا برزإسهام التلمسانين ونحوه كالتنجيم و الحروف المتصلة بالتصوف وعلم الغيب و ما إلى ذلك[1].

3- **العلوم الشرعية** : أهم ماتميزت به العلوم الشرعية هو التكرار والحفظ،فالفقهاء كانوا يقلدون سابقيهم تقليدا يكاد يكون أعمى فإذا ما حاول أحدهم أن يشد هذا التيار أقاموا عليه الدنيا و أقعدوها و إجتمع عليه المجلس الشرعي الذي كانت تتدخل فيه الدولة ومع ذلك حاول بعض الفقهاء تحطيم هذا الجدار أعبد أمثال الفكون ، ومحمد بن العنابي [2]، فظاهرة التقليد كانت مسؤولة عن نذرة الإنتاج في العلوم الشرعية التي تحتاج إلى ثقافة عميقة كالتفسير و الحديث وسنتطرق لكل علم على حدى .

3-أ – التفسير : يحتاج مفسر القرآن إلى ثقافة دينية ولغوية قوية لكي يقدم على عمله ، وهذا لم يتوفر في الجزائر آواخر العهد العثماني فمجال الثقافة كان محدودا ، ومن بين الذين اشتهروا بذلك محمد بن علي أبهلول ، و عبد القادر الراشدي القسنطيني ، وأبو راس الناصري ومن الطبيعي أن نقول أنه ليس كل من تناول التفسير أجاد أو جدد فيه ذلك أن ظاهرة التقليد كما ذكرنا سابقا كانت مسيطرة على العلماء في جميع الميادين[3]، ومن جهة أخرى فإن الوثائق تعوزنا في الوقت الراهن عن

1سعد الله ،المرجع نفسه ،ص412 .

2ولد بمدينة الجزائر سنة 1775م و أخد العلم عن شيوخها، دعى إلى التجديد الإسلامي ونادى بضرورة تقليد الاوربيين في العلوم و الصنائع كما تولى عد وظائف منها الإفتاء والإمامة ،ينظر ،أبو عمران الشيخ وناصر الدين سعيدوني ،المرجع السابق ،ص393 .

3صلاح مؤيد العقبي ،الطرق الصوفية ، المرجع السابق ،ص31 .

الطريقة التي كان يستعملها أمثال أبهلولو الراشدي أثناء درس التفسير، فقد روى سعيد قدورة أن شيخه قد وصل في تفسيره إلى سورة الإسراء و الظاهر أن الشيخ كان يسجل باللسان لا بالقلم في حين أن البعض كان يتناول التفسير تدريسا أمثال عبد القادر الراشدي القسنطيني ولابد من الإشارة أيضا إلى أن هناك غير هؤلاء ، فالوزان و الأنصاري كانوا أيضا من مفسري القرآن الكريم في دروسهم ، ومما لا شك فيه أن هناك أعمالا أخرى في التفسير لم نهتد إليها.

3–ب – الحديث :إعتنى الجزائريون بعلم الحديث تدريسا و تأليفا ورواية و إجازة ولا شك أن ذلك يعود إلى صلة علم الحديث بالدين وبالتصوف معا كون علم الحديث يعتمد إلى حد كبير على الحفظ وهم حفظة مهرة اشتهروا بذلك منذ القديم ، وقد فاقت عنايتهم بصحيح البخاري كل عناية فهو الكتاب الذي كان متداولا لديهم أكثر من غيره ، وقد بلغ عند بعضهم مبلغ القداسة فكتبوا عليه الشروح و الحواشي و إستعملوه في المناسبات الدينية وحتى الحربية ، و أهم الأماكن التي كان يدرس فيها الحديث هي الجوامع الكبيرة إحتراما له وكان لا يتولى إملاء الحديث إلا كبار العلماء وذوو الأصوات الحسنة و الجهورية فهذا عبد الرزاق ابن حمادوش الذي تولى سرد صحيح البخاري في الجامع الكبير بالعاصمة يروي أن مملية كان محمد بن سيدي الهادي و أحمد العمالي والمفتي الحاج الزورق وغيرهم ، وكان مختصر أبي حمزة لصحيح البخاري متداولا أيضا بين الجزائريين وقد شعر عبد الرحمن بن عبد القادر المجاجي أن هذا المختصر في حاجة إلى شرح يضبط ألفاظه ويقرب معانيه فقام بعمل ضخم بهذا الصدد وسمى شرحه "فتح الباري في ضبط ألفاظ الأحاديث

التي إختصرها العارف بالله (إبن أبي حمزة)من صحيح البخاري " ، وكان دافعه إلى القيام بهذا العمل الغيرة على قراءة الحديث حتى لا تقع فيه الأخطاء أثناء القراءة .

وبهذا نجد أن العلوم عرفت تقليدا يكاد يكون أعمى ، وكما يقول سعد الله "بل إنهم لم يقلدوهم في الأبداع و الإستقلال بالرأي و الربط بين العلم و الحياة ، و لكن في السير في خطئهم دون وعى و دون إضافة أو تطبيق " ، وهنا يقصد العلماء المتقدمين الذين قلدوا بعض المتأخرين ،وهكذا فالتقليد للرياضيات لم يكن للخوارزمي و إبن الهيتم ، ولكن لإبن البنا ، وفي الفلك لم يكن للبتاني ، ولكن للحباك ، وفي الطب لم يكن لإبن سينا و الرازي ، ولكن للأنطاكي ، وهكذا سمى سعد الله هذا النوع من العلوم بإسم "علوم الألة "[1].

أما من جه أخرى ومن جانب التأليف ،فيمكن القول أنه بالرغم من عناية الجزائريين بالحديث ، وبصحيح البخاري خصوصا ، فإن تآليفهم فيه لا تقارن هذه العناية لأن ميدان التأليف في هذا العلم أو العلوم الدينية يكاد يكون خاليا بإستثناء بعض الأمور التقليدية مثل الشروح والحواشي والرسائل الصغيرة[2] .

1سعد الله ، ابحاث و آراء ، ج3 ، المرجع السابق ، ص ص186-187 .

2حنفي هلايلي ،المرجع السابق ، ص235 .

المبحث ا لثالث: أشهر العلماء

المطلب الأول : عبد الكريم بن الفكون (988هـ _1073 م /1580 –1662 م)

عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الفكون القسنطيني ، جمع بين علمي الظاهر والباطن ولد بقسنطينة سنة 988 هـ،وهي السنة التي توفي فيها جده وبعد وفاة جده عبد الكريم تولى إبنه محمد والد المترجم له كل وظائف والده ومنها الإمامة بالجامع الكبير في قسنطينة ،كان محمد فقيها ومتصوفا يدرس العلم ويقوم الليل ،توفي في طريق العودة من الحج بين مصر و الحجاز سنة 1045 هـ [1]،بلغت هذه العائلة مجدها في عهد عبد الكريم الحفيد حيث تولى أيضا وظائف والده بعد وفاته وأسندت إليه إمارة الحج و منحت له في ذلك سلطة دينية حتى أن أحدا لا يعارضه و لا يمانعه و قد أورد الأستاذ سعد الله وصفا له نقلا عن إحدى الوثائق العثمانية انه "الشيخ العالم القدوة التقي الناسك الأبر النحير المؤلف البليغ سيدي عبد الكريم الفكون " ، تعلم الشيخ عبد الكريم على والده في زاوية العائلة وتربي على الثروة والجاه وذكرت المصادر من شيوخه في قسنطينة، محمد التواتي المغربي الذي أخد عنه الصرف و النحو [2]، إذ أثر فيه التواتي أ كثر من غيره خاصة في فكره النقدي وتورته على الغموض المتمثلة في الإنحراف و دعوته إلى العقيدة السلفية الصافية [3]، ولما إكتمل تكوينه أخد يدرس العلم و ينشره ويتدرج في الحياة العامة ، وقد تولى مشيخة الإسلام و كانت له صلاحيات دينية وإمتيازات إقتصادية واسعة

1أبوعمران الشيخ وناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ، ص425 .

2 عادل نويهض ،معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ،ط2 ،مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر بيروت (1400 هـ/1980م) ،ص234 .

3الفكون ، منشور الهداية ، المصدر السابق ،ص ص 11-12 .

فيقيادة بعثة الحج [1]، و الإستفادة من هذه المهنة ماديا بقدر الإمكان مع الحق الكامل في إختيار أعضاء القافلة ،و إدارة جميع الأوقاف و إعفاء جميع أملاك عائلته من الضرائب و الغرامات و غيرها مما كان يدر عليها الأموال الطائلة ، وكل من يلتجئ إلى هذه العائلة حتى و لو أنه من المجرمين كان يتمتع بحصانة المشيخة ، وحمايتها و كانت للمشيخة الكلمة العليا في تطبيق أحكام الشريعة و السهر عليها [2]، ومع أن الشيخ عبد الكريم كان مواليا للنظام العثماني ، فقد هاجم في كتابه منشور الهداية إستبداد حكامه في قسنطينة كما إنتقد العلماء و المتصوفة في زمنه فعاب في مؤلفاته على الفقهاء تساهلهم وتدخينهم في المساجد لامهم على القيام فيها بأعمال تنافي حرمة المسجد كالأكل و النوم وحلق الرؤوس وآخدهم على بيع ضمائرهم بقبول الرشوة و التذلل للحكام على حساب العلم و الأخلاق ، وقد هاجم في كتبه علوم أهل الرسوم بعدما كان إماما فيها ، وكان يقول إذا ذكر له شئ من العلوم "قرأتها لله و تركتها لله "، وثار على المرابطين و الخونيين في إدعائهم الولاية و الكرامة و إعتمادهم الطقوس التعبدية التي تنافي مظاهر العبادة الشرعية كإتخاد الحضرة و الوعدة و الرقص و الغناء بهدف إستغلال العامة وسلب الأموال و التحالف مع السلطة لنفس الغرض ، ولذلك دعى إلى التصوف السني و الزهد السلفي القائم على العلم و العمل ، و دعى في منشور الهداية إلى إستخدام العقل والعمل بالإجتهاد[3].

1عمار هلال ،العلماء الجزائريون في البلدان العربي الإسلامية فيما بين القرنين التاسع و العشرين الملاديين14/3هـ ، ط2 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،2010 ، ص215 .

2سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، المرجع السابق ،ص521 .

3الفكون ، منشور الهداية ، المصدر السابق ، ص12 .

منشور الهداية في كشف حال من أدعى الولاية ، ومحدد السنان في نحور إخوان الدخان، هما كتابان يدلان على نزعته السلفية الناقدة للتصوف وله ديوان في مدح الرسول صلى الله عليه و سلم رتبه على حروف المعجم وشرح على أرجوزة المكودي سماه شرح على البسيط والتعريف في علم التصريف و آخر على مختصر الشيخ عبد الرحمان الأخضري سماه الدر في شرح المختصر [1]، وذكر العياشي في رحلته أن مروياته مستوفاة في فهرسة أبي مهدي عيسى الثعالبي.

المطلب الثاني : عبد الرزاق بن حمادوش (1107هـ 1696 م)

ولد عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري من مدينة الجزائر سنة 1107هـ /1696م وتوفي حوالي 1200 هـ/1783م بعد أن تجاوز التسعين كان من عائلة متوسطة الحال تلقب بأسرة الدباغ لأن والده وعمه كانا يشتغلان بالدباغة، إلا أنه تمكن من تعلم علوم عصره ، إشتغل بالعلم والتجارة وعلى خلاف علماء عصره لم يهتم فقط بالأدب و الفقه و اللغة و المنطق و التاريخ ، بل إهتم أيضا بالعلوم التجريبية كالكمياء و الفلك وخاصة الطب ، فقد كان بارعا في تحضير الأدوية النباتية [2]،فإنه كان بطبعه ميالا إلى الكتب العلمية، وقد روي أنه درس تأليف القلصاوي في الحساب وشرح محمد السنوسي عل الحباك في الاسطرلاب، والقانون والطلاسم لابن سينا، ومقالات إقليدس والبيروني و الفرابي و الرازي وإبن البيطارو غيرهم[3]، وبالإضافة إلى هذه المصادر اعتمد ابن حمادوش على التجربة والمشاهدة. فقد كان يخرج للجبال المجاورة لمدينة الجزائر لإجراء التجارب وإلتقاط الأعشاب ، وعندما كان في المغرب سجل ملاحظات

1عادل نويهض ، المرجع السابق ،ص14 .

2أبو عمران الشيخ وناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ،ص163 .

3 سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ،المرجع السابق ،ص428 .

علمية هامة أثناء مروره حول أنواع الأشجار والطيور والحيوانات وغرائبها [1]، كما لاحظ حركات النجوم، وعالج التغلب على الحمى وذلك بعد أن تتلمذ على يد مشائخ أمثال عبد الوهاب أرزق طبيب السلطان مولاي إسماعيل العلوي، وفي تونس أخد العلم عن مفتيها الشاعر أبي عبد الله محمد زيتونة ونفس الشئ فعله عندما كان في مصر فقد درس عن الشيخ أبي العباس أحمد بن مصطفى بن أحمد الصباغ الإسكندري ، حيث سجل في كتابه "كشف الرموز في شرح العقاقير و الأعشاب " وهو كتاب ضخم يحتوي على أربعة أجزاء ، عبارة عن قاموس طبي إعتمد فيه على مراجع الأقدمين ،كإبن سينا ولاسيما بكتابه "قانون الطب " [2]، كما إستعان بكتب علماء اليونان و المؤلف يتناول فيه عدد كبير من أسماء الأدوية النباتية المعروفة في وقته سواءا في العالم العربي أو الأوربي ، تحدث في الكتاب الأول عن السموم وذوات السموم و العلاج منها ، و الكتاب الثاني في الترياقات و مايجري مجراها والكتاب الثالث في الأمراض بناه على جدول حنين بن إسحاق، أما الكتاب الرابع ، فقد خصصه لحل ألفاظ المفردات وتعريبها ، وقد قال بن حمادوش عن كتابه (الجوهر المكنون)، "بأن كتاب جليل يتوشح به الأصاغر ولا تمجه الأكابر فيه الأسباب و العلامات و العلاجات" .

أما كتابه الثاني "تعديل المزاج بسبب قوانين العلاج "،فقد ألفه سنة 1161هـ/1748 م في مصر يحتوي على نحو الأربعين صفحة تعرض فيه إلى الأعضاء التناسلية ووظائفها وأمراضها و أدويتها ، كما له مؤلف في مجال أدب الرحلة بعنوان "لسان المقال في النباء عن النسب و الحسب و الحلال ، فثقافته كانت تقوم

1عبد الرزاق بن حمادوش، لسان المقال في النبأ عن النسب و الحسب و الحال ، تح ،أبو القاسم سعد الله ، دار الغرب الإسلامي بيروت ، 2005 ص120.

2 عمار عمورة ،الجزائر بوابة التاريخ ، ج2 ،المرجع السابق ، ص ص 185-186 .

أساسا على عنصرين هما قوة الملاحظة و التجربة ، والثاني الرحلة وهذا ما تطرقنا إليه سابقا، فقد تعرض في رحلته لما إطلع عليه شخصيا من أحداث تاريخية و إجتماعية و ثقافية دينية جغرافية وقعت في الجزائر و المغرب في القرن الثاني عشر للهجرة الموافق للثامن عشر ميلادي [1] ، لكن نلاحظ أن تآليفه في هذه العلوم وغيرها يغلب عليها إختصار المطولات ، ومع ذلك فإنها تدل على إتجاه صاحبها كان إتجاها صحيحا، وأن إبن حمادوش لو وجد حكومة ترعى العلوم و العلماء لكان له شأن آخر في وقته .

المطلب الثالث: أبي راس الناصري

ولد أبو راس الناصري سنة 1165 و توفي سنة 1238 هـ، ومعنى ذلك أنه قد عاصر أحداثا هاما في حياة بلاده وحياة العالم الإسلامي ، ومن ذلك حملة أوريلي و حملة اللورد إكسمونت الأوربيين على الجزائر ، و إسمه الكامل هو محمد بن أحمد عبد القادر بن محمد بن أحمد بن الناصر الجليلي ولد في بيئة فقيرة جدا قرب جبل كرسوط بضواحي معسكر وإنتقل به والده الذي كان معلم قرآن إلى سهل متيجة قرب مدينة الجزائر ، وبعد وفاة والده إنتقل به أخوه عبد القادر إلى المغرب فحفظ القرآن ولم يلبث أن عاد إلى معسكر وتتلمذ على يد الشيخ عبد القادر المشرفي ، و أخد العلم في الجزائر عن شيوخ كثيرين منهم الشيخ الحافظ الزهار محمد الصادق أفعول [2]، وقاضي الجزائر محمد بن جعدون و المفتي أحمد بن عمار و فقيه الجزائر العالم المدرس الحافظ المفتي الحاج محمد بن الشاهد و غيرهم ، وعندما شعر بإستقلاله العلمي ذهب عند أخيه بضواحي معسكر وتزوج و إشتغل بالتدريس و تولى القضاء نحو

1إبنحمادوش ، المصدر السابق ،ص ص 23-24 .

2 سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ،المرجع السابق ،ص ص376-377

سنتين و لما أحس بفقر معلوماته في البادية دخل مدينة معسكر التي قضى فيها ستة و ثلاثين سنة مدرسا لعلوم عصره و قد رشحه شيخه ليكون خليفته في الدرس فأشتهر أمره في الجزائر و أقطار المغرب و المشرق حتى قيل إلى أنه كان يستمع إلى درسه سبع مئة وثمانون طالبا و أن الأمراء خصصوا له كرسيا يستعين به لإزدحام الناس عليه ،وقد حج حجتين ، الأولى (1204 هـ/ 1790م و الثانية 1226هـ 1812 م[1]، و إلتقى بعلماء المشرق و المغرب ، ولا نريد هنا أن نتقل على القارئ بذكرهم و حسبنا أن نحيل إلى دراستنا عنه المشار إليها و إلى رحلته المسماة فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي و نعمته. أخرج أبو راس عددا كبير ا من التلاميذ من أبرزهم أبو حامد المشرفي صاحب التآلي ـف العديدة في التاريخ والأدب و الرحلات[2] .

كتب أبو راس أكثر من غيره من الكتاب الجزائرين ، فكتبفي التاريخ و الأنساب و الأخبار ، وقد ذكر في رحلته ثلاثة و ستين كتابا بين صغير و كبير و قسمها إلى ثلاثة عشر قسما مبتدئا بالقرآن و منتهيا بالشعر[3]، ومن كتبه التي لم يذكرها في رحلته عشرون كتابا معظمها في التاريخ و الأنساب و كثيرا من هذه الكتب قد ضاع ، وتمكنا من الإطلاع على عدد منها ما يزال مخطوطا مثل رحلته فتح الإله ومنته وعجائب الأسفار، و إسماع الأصم ، و الحلل السندسية و غيرها ن ومن الغريب أن مؤلفات أبي راس قد ترجمت و نشرت بالفرنسية بينما لم تنشر إلى الآن كتبه بالعربية[4] . وهكذا يتضح أن مساهمة أبي راس في

1 سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، المرجع السابق ،ص ص380-381 .

2 أبو راس الناصري، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي و نعمته ،تحقيق ، محمد بن عبد الكريم الجزائري (م،و،ك)، الجزائر ،1966، ص21

3 أبو راس الناصري، المصدر السابق ،ص179 .

4أبو عمران الشيخ وناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ،ص532 .

تاريخ الجزائر مساهمة عظيمة و أن آثاره جديرة بالدرس و النشر و أن شخصيته تحتاج إلى إظهار وإعتبار يليقان به.

و في خاتمة هذا الفصل نجد أن ، الحياة الثقافية كانت مهمشة من الجهات الرسمية ، الأمر الذي جعل أهل العلم يهجرون الجزائر ،أما من بقي منهم لم يعد يجد بلاطات يقدم إليها إنتاجه و لا جمهورا متعلما يعرض عليه بضاعته ، لكن ورغم هذا ، نجد أنه أغلب من ترك تراثا ثقافيا في هذه الفترة ، هم العلماء لكن مهما بلغ الإنتاج الثقافي من حيث الكم ومحاولة رجاله فك الحصار المضروب عليهم عن طريق الرحلات شرقا و غربا ، إلا أنه لم يرقى إلى درجة النضج الفكري ، لأن الثقافة لم تكن مبدعة بقدر ما كانت ظرفية و جهوية إقليمية نقلية أكثر منها عقلية .

الفصل الثالث

مجالات الفنون

المبحث الأول :أهم الفنون

المبحث الثاني : الفنون الشعبية

المبحث الثالث : فنون الألعاب و الطعام

رغم حديث بعض العلماء و المتصوفة الجزائريين عن بعض الفنون و وضع قيود دينية لها ، إلا أنها كانت شائعة في الجزائر أواخر العهد العثماني ، لكن هذا لايدل على أنها حظيت بتآليف من قبل المؤرخين الباحثين خصصوا و حددوا فيها أنواعها ووظيفتها الإجتماعية، إذ كانت الأقلام التي كتبت في هذا الجانب شبه منعدمة ولانكاد نجد في كتب الجزائريين إلا بعض الإشارات النادرة ، كما أنها شهدت نقدا ملحوظا من ذلك فن الرسم وفن الموسيقى و الرقص ، و الفن المعماري ، والفنون الشعبية .

المبحث الأول: الفنون

المطلب الأول : الرسم

توجد هناك مظاهر فنية للرسم في الجزائر منذ بدايات التواجد العثماني ،و إستمرت خيوط هذه الثقافة إلى مابعد ذلك ، إذ نجد العمل التقليدي الكلاسيكي بالمصطلح الحديث للكلمة كالزخرفة و المنمنمات وليدة الحضارة العربية الإسلامية[1]، هذا من خلال مانراه من دكاكين للحرفين والمنازل ، هذا إلى جانب أعمال فنية ذات قيمة إستمرت تعيش داخل المنازل تنسج خيوط الثقافة الشعبية التي يعبر عنها المدّاح،المغني و الشاعر ، فالفن البربري الذي هو أمام كل الغزوات إستطاع أن يعيش في آعالي الجبال و أن يتقبل أشياءا جديدة[2]، ومن أهم الرسومات البربرية المتعارف عليها و التي تزين بيوت سكان قبائل وادي هياس و الرسومات الموجودة على الأواني الفخارية المنتشرة خاصة في الأوراس و القبائل كان الطراز كشكل فني حضري أصيل منشر في المدن الكبرى مثل الجزائر ،البادية ، تلمسان و قسنطينة

1 أ حمد مريوش ، المرجع السابق ،ص24 .

2ينظر ،آمال شارفي ،الحياة الإجتماعية و الثقافية في الجزائر أواخر العهد العثماني ،مذكرة لنيل شهادة الليسانس ،تاريخ عام2008-2009م،ص62

أعطت الحضارة الإسلامية في العهد العثماني فنا معماريا ساعد على إثراء فنون الرسم إذا إستمدت منه المنمنمات و الزخرفة أصالتها التي كانت مسيطرة على معظم المباني خاصة الإسلامية[1] .

لم يكن الرسم منعدما كما كان يعتقد بعض الناس إلى وقت قريب ،حقا إن الفنانين لم يجدوا تشجيعا كالذي وجدوه فنانوا عصر النهضة في إيطاليا و غيرها ،ولكنهم مع ذلك إستطاعوا أن يعبروا بالوسائل المسموح بها دينيا وذوقيا ، وعلى كل حال ، فليس صحيحا مايقال من أن الجزائريين كانوا لا ينتجون الرسوم الفنية لأن الدين قد حرمها ، أو أنهم لم يكونوا يفهموا البعد و تناسق الألوان في الصور فقد عثر على لوحة رسمها بعض الجزائريين سنة 1824 م ،بطلب من حسين باشا و هي تصور المعركة التي جرت بين الجزئريين و الإنجليز في السنة المذكورة ، وكان الباشا قد وضع اللوحة في قصره حيث ظلت إلى أن جاء الكونت دي بورمون ، قائد الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830م، وأخدها وسلمها إلى قائد أركانه تولوزي، وقد وضعت نسخة من هذه اللوحة في مكتبة الجزائر،أما النسخة الأصلية فلا نعرف مصيرها ، هكذا فإننا إذا حكمنا من الثرات المكتوب فإن مساهمة المؤلفين الجزائريين تكاد تكون منعدمة مقارنة مع العلوم ،فإن مساهماتهم كانت طيبة[2].

المطلب الثاني:فن الموسيقى والغناء و الرقص

كان المجتمع الجزائري لا يستغني عن الموسيقى و الغناء ،فقد كانت هنالك على الأقل ثلاثة مناسبات تشيع فيها الموسيقى و الغناء والرقص ، منها المناسبات الإجتماعية، كحفلات الزواج ،الختان المناسبات الدينية ، كالمولد النبوي وتجمع ركب الحج وليلة القدر ،و المناسبات الرسمية كتولي الباشا الجديد

1 أحمد مريوش ، المرجع السابق ، ص ص24-25 .

2 سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق ، ص 449-450 .

وحفلة الدنوش والإحتفال بالإنتصار على العدو، وتذكر بعض المصادر أن السلطة كانت تجازي العازفين بهدايا وعطايا مناسبة ،فقد كان رئيس الموسيقى (أوالباشزرناجي)، يتقاضى بمناسبة المولد النبوي عشرة بوجات أما حين يلبس الباشا الجديد القفطان الرسمي فعطية الموسيقيين تبلغ أحيانا مائة دورو فضية وذلك بعد ثلاثة ليالي من الإحتفالات، وفي هذا السياق تحدث الشريف الزهار عن دور الحريم [1]، في عزف أنغام الموسيقى طوال اليوم خاص في الحفلات الرسمية مثل حفلات الدنوش[2]،وتثبت بعض الوثائق أن هناك عازفين كانوا يتنقلون من بلد لآخر حتى على المستوى الرسمي لحظور حفلات رسمية مما جعل بعضهم يبلغ درجة الشهرة ،حتى أصبحوا يلقبون بالأساتذة ،فقد روى المؤرخ المغربي أبو القاسم الزياني أنه عندما حل بقسنطينة دعا الباي حسن هناك إلى حفلة سمر وموسيقى جاءه عازفوها من مدينة الجزائر ،وكان المغنون و العازفون و الراقصون يجازون أيضا في الحفلات الخاصة مجازاة سخية، ذلك أن الأهالي كانوا شديدوا الحرص على سماع الموسيقى سيما أهل الحضر الذين كانوا يحتفظون بآلات موسيقية يعزفون بها عندما ينفردون بأنفسهم كنوع من أنواع التسلية أو الهواية [3]،وقد ذكر أحد الأوربيين أن عازف الموسيقى في الجزائر يربح من عزفه أكثر مما يربحه عشرة من الأدباء ، وذكر الورتلاني أن الشيخعلي المهاجري ، كان زمارا مشهورا بلغ الغاية من صنعته حتى أصبح الناس يشترطونه في الأعراس ولا شك أنه كان يأخد أموالا طائلة على ذلك ، وباالإضافة إلى ذلك ذكر الدكتور شو أن الشبان كانوا يقضون أوقاتهم في المقاهي يلعبون الشطرنج أو يأخدون خليلاتهم إلى الحقول حاملين معهم الخمر والآلات

1 ينظر ، الشريف الزهار، المصدر السابق ،ص39 .

2 **الدنوش**:عبارة عن أموال و ثروات تساهم بها البايليكات ،تقدم في شكل هدايا وترضيات عينية ونقدية ،يتكفل الباي بتقديمها مرة كل ثلاث سنوات ينظر فاطمة الزهراء قشي ،المرجع السابق ،ص ص100-103

3 سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، المرجع السابق ، ص ص 440-441 .

الموسيقية ،وعلى كل حال و مهما كان الأمر ، فقد كان هناك على الأقل ثلاثة أنواع من الموسيقى موسيقى الحضر أو الأندلسية ، وموسيقى البدو ، و موسيقى العثمانيين .

أ – الموسيقى الأندلسية : هي أكثر تنوعا وكان عزفها يتم من الذاكرة و ليس من نوطة يتعلمها العازفون ، كما أنها بلغت من التعدد أن أصبحت لها الفرق الضخمة البالغة العشرين أو الثلاثين عازفا كان العزف يطول ولكن السامعين يظلون طول الليل يستمعون دون أن تحدث خلال ذلك ضجة ، أما آلاتها فالرباب ذو الوترين و الذي يلامس بقوس ، ثم العود الذي يحتوي على أوتار أكثر من عدد أوتار الرباب ، والقيتاربأحجامه المختلفة و الذي يعطي لكل حجم منه نغما أعلى من الآخر[1].

ب – موسيقى البدو : يستعمل عازفوا البدو آلات موسيقية تناسب عقلياتهم ووسائلهم المعيشة ،آلاتهم هي، القصبة و البنذير المصنوع من جلد ناعم و خشب ،و الربابة ذات الوتر الواحد وهي التي تبدأ بها النغمة و تنتهي و كان هؤلاء يجتمعون في حلقة في مكان قريب من السوق أو ماشابه ذلك و يشرعون في الغناء والعزف ، وكان إنشادهم يعتمد على المدائح النبوية وسيرة الصحابة و السلف و القصص العربي البطولي ، كما كانوا يستعملونها في حفلات الختان و في الأعياد و المناسبات الدينية ،كعيد الفطر و عيد الأضحى و المولد النبوي الشريف ، وحفلات الزواج و ما إلى ذلك[2].

ج – الموسيقى العثمانية :إرتبطت الموسيقى العثمانية بتواجد الأتراك بالجزائر منذ بدايتهم وهي تمتاز بحزن نغماتها ، ومن الآلات المستخدمة فيها الفضل وهو ، آلة طويلة العنق تشبه الربابة ، وهناك آلة أخرى ذات أوتار تلامس بأصابع اليد أو بعصى رقيقة،بالإضافة إلى القصبة و الطنبور و المزمار ، وكان

1سعد الله ، المرجع نفسه ، ص 442 .

2عمار عمورة ، الجزائر بوابة التاريخ ، ج2 ، ص 171 .

مصدر الأغنية هو التاريخ الإسلامي الذي أوجد فنا إسلاميا [1]،سيما سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح و البطولي الذي يمجد تاريخ العرب و المسلمين ،و القصص الغرامي الملحمي والذي كان يستمد من ألف ليلة وليلة وأمثالها من القصص الشعبي ،وهنا تجب الإشارة إلى أن موسيقى الزرنة كانت الأكثر إنتشارا و إزدهارا خلال هذه المرحلة فقد خصصت للحياة الشخصية للداي في أوقات معينة لتريحه من مشاكل الحكم وعنائه ، فكانت تسمع داخل القصر ثلاث مرات في اليوم عند الصباح في الظهر ، ثم بعد العصر حتى الغروب وكانت ترافق الداي كلما خرج ليتفقد أحوال الرعية ، كان يخرج مع جيشه تتقدمه دائما موسيقى الزرنة بألحانها المعروفة ، وبهذا تعلمها العديد من الجزائريين على أيدي شيوخ أتراك كالفنان، "أحمد تيتيش والد بوعلام تيتيش ، الذي يقول "كان أبي يستدعى إلى قصر الداي و الأعيان للعزف"[2]، وبما أن موسيقى الزرنة كانت مرتبطة بالطبقة الحاكمة نجد أنه حتى الأحداث الرسمية الخاصة و المتعلقة بأمور الحكم السياسي و الإقتصادي داخل القصر إرتبطت بها، إذ كانت تجمع الضرائب بإستخدام موسيقى الزرنة ، فقد كان موظفوا الضرائب يتقدمون بموسيقاهم والمثمثلة في غايطتين وبندير وطبل، ولكل آلة دور خاص بها ولغة تترجم وظيفتها، فلحن صوت البندير هو بمثابة الرئيس الجامع للنقود الذي يصرخ درهم درهم أما الغايطتين هما المكلفتان بأداء الضريبة، وأخيرا الطبلان والتي تجيب بلغة تركية: دبلر ،دبلر ،دبلر[3]، والهدف من إستعمال هذه الموسيقى في جمع الضرائب هو التعبير

1محمد بن ميمون ، المصدر السابق ، ص 57 .

2 ليلى تيتيش ، بوعلام تيتيش و تاريخ موسيقى الزندقة في الجزائر ، مراجعة فرحات جلاب و خالدة بوريجي ، عاصمة الثقافة العربية الجزائر ، 2000 ،ص19 .

3**دبلر** :كلمة تركية بمعنى تصرف ،ينظر ليلى تيتيش ، المرجع السابق، ص ص16-17 .

عن الشدة ،والقوة ، وبعث الهيبة في النفوس من خلال الأصوات التي تصدرها كل آلة ، أما في الجانب السياسي وإلى جانب ماذكرناه سابقا ، فهي تستعمل أثناء إستقبال الداي للوفود الرسمية وما إلى ذلك.

أما في ما يخص الرقص، فقد كان الرقص النسائي شائعا في تلك الفترة وهو بتحريك الجسم حركات رشيقة مع هز البطن و الأردف و التلاعب بالأذرع و التمايل ذات اليمين وذات الشمال يرافق كل ذلك إبتسامات ناعمة وإهتزاز للشعر وغمزات بالعين ونحو ذلك ، ولم يكن الرقص شائعا كثيرا بين الرجال بإستثناء رجال البادية[1]، و بهذا نجد أن الفنون عانت كالعلوم في الجزائر آواخر العهد العثماني من الإجحاف و الجهل بقيمتها و تاريخها .

المطلب الثالث : موقف العلماء والمتصوفون من الفنون

كان للعلماء رأي خاص حول الفنون بما في ذلك الموسيقى والغناء والرقص ومن الذين تحدثوا عن الجانب أحمد الونشريسي في كتابه (المعيار) حين روى أن أحد العلماء سئل عن الغناء والرقص بعد أن ثبت أن جماعة من أهل الخير والصلاح قد إجتمعوا وأنشدوا شعرا في الحب وغيره فتواجد بعضهم ورقص على أنغامه إلى درجة أن البعض وقع مغشيا عليه من شدة التأثر بهذا [2]، فكانت إجابة الفقيه أن الرقص بدعة لا يتعاطاها إلا ناقص العقل وهو لا يصلح للنساء ، وأما سماع الإنشاد الذي يحرك المشاعر والذي يذكر الإنسان بأهوال الآخرة و التعلق بها فلا بأس به،بل هو منذوب عند فتور النفس .

أما الرقص الذي يعتمد على الإثارة الجنسية فهو خارج نطاق الأخلاق العامة و تعاليم الدين وقد أضاف الونشريسي بأن معظم العلماء يكرهون الغناء بغير آلة طرب ، أما بآلة ذات أوتار كالعود الطنبور

1 سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، المرجع السابق ، ص ص 444-445 .
2سعدالله،تاريخالجزائرالثقافي،ج1 ،ص437 .

الزمار فممنوع ،و قال إن بعضهم قد إستثنى من ذلك الغناء في الأعراس و الحفلات التي تقدم شرابا مسكرا ، أما الغناء بصوت رقيق فيه تمطيط و هو الغناء العربي المسمى بالنصف ، فقد أجازه الجميع لأن الصحابة قد أجازوا وفعلوا بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم ،وفي القرن 17م إستنكر عبد الكريم الفكون لجوء بعض المتصوف إلى إستعمال الموسيقى في الحضرة و الإنشاد الذي ترافقه آلات و تصفيق و رقص فيه تواجد وله وصياح بأصوات عالية ، وروى أن عالم عنابة في وقته ،الشيخ محمد ساسي قد إستعمل ذلك حين ورد عليهم أحد متصوفة المغرب فأقاموا له في عنابة حفلات ساهرة تشبه على حد تعبير الفكون ما كان يفعله أمثالهم في قسنطينة وهم الذين سماهم نادي جماعة الشرب ، وقد روى المؤرخ المغربي أبو القاسم الزياني أنه عندما حل بقسنطينة دعاه الباي حسن إلى حفلة سمر و موسيقى جاءه عازفوها من مدينة الجزائر ، و قد وصف الزيانيعندئد بأن قصر الباي كان مجهزا لهذه الحفلة إذ كان مزينا بالفرش و التحف و الأثاث الفاخر وغير ذلك ولاحظ ،أيضا أن الباي كان يخرج من وقت لآخر من الحفلة ثم يعود إليها و أن في كل مرة أصبحت تقوى عنده رائحة الخمر حتى عرفها الحاضرون جميعافهذا النوع من الموسيقى هو الذي نهى عنه أهل التصوف أمثال الورثلاني، لأنه في نظرهم يؤدي إلى المجون وتعاطي الخمر والتبذير و الإختلاط [1]، هذا من جه ومن جهة أخرى أكد بعض العلماء الزهاد جواز سماع الموسيقى،أمثال أبي القاسم الجموعيوأبي مدين و أبي الحسن الشادلي ، فقد أخبر محمد بن سليمان عن جواز سماع الموسيقى للصوفي الحقيقي و أخبره أن شيخه موسى بن علي اللالتي كان حسن الإنشاد و أنه إذا أنشد يكاد قلب السامع من تأثيره ينفطر و أن شيخه كان يقول : ورثنا هذا المقام عن داود

1 سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ،ج1 ،المرجع السابق ، ص438 .

عليه السلام و بعد حوالي قرن فصل الورثلاني في هذه القضية فهو ،كرجل من أهل التصوف أباح إستعمال الموسيقى و الإنشاد لأهل التصوف و منعه على غيرهم لأنه يؤدي في نظره إلى الإختلاط والفساد ، و في رحلته أمثلة عديدة على وصفه الفجور في البلدان التي زارها في الجزائر ، فالغناء في نظره دواء لأهل العشق الصوفي ، و لكنه وسيلة من وسائل الشيطان لغيرهم ، وفي حديثه عن نساء و رجال إحدى القرى التي زارها قال :إنهم كانوا يجتمعون عند الرقص و البكاء و الصياح وذكر الشوق من غير إشتياق و العشق من غير عشق وغيرها من الزهد، أما المباح في نظره فهو أن يكون بشروطه الخالية من المحرمات ومع ذلك أنه دواء للمرضى وهو يعني بذلك أصحاب الحضر الصوفية[1].

وهناك من العلماء غير المتصوفة من لئان يتذوق الموسيقى في ذاتها و يحلو له الإنشاد ، فقد روى عن عبد الواحد الونشريسي أنه كان له موشحات ،وقد كان الونشريسي من ك بلو العلماء و أخبر إبن حمادوش في رحلته عن نفسه أنه يعلم علوما شتى من بينها علم الموسيقى الذي قال إنه تعلمه بطريق الإجازة و في الرحلة القمرية لإبن زرفة أنه قد ورد على الباي محمد الكبير عالمان حنفيان من مليانة أحدهما مفتي البلدة و الثاني فقيهها و أن كليهما كانا من الموسيقيين المهرة .

أما فيما يخص الرسم فقد كان شائع في الجزائر في الفترة المذكورة، لكن كانت له هو الأخر ضوابط وضعها المتصوفة مسموح بها دينيا و ذوقيا.

1سعد الله ، نفس المرجع ، ص 439 .

المبحث الثاني : الفنون المعمارية

يمتاز الفن المعماري في الجزائر في عهد الدايات بدقة البناء و الزخرفة و إستعمال الرخام ومختلف النقوش بالعربية و التركية على المساجد و الزوايا ، و غير ذلك من المنشآت المعمارية التي قام الإنسان فيها بتوظيف قدراته و مداركه العقلية التي ترجع عليه بالنفع و الفائدة .

المطلب الأول : المساجد و الزوايا و الأضرحة

برع الصناع الجزائريون في بناء المساجد و نحوها من زوايا و قباب و أضرحة ، وقد إستمد البناة طريقتهم من حضارتهم القديمة ،كما استمدوها من حضارة الأندلس ، فقد هاجر الأندلسيون أنفسهم إلى الجزائر و جلبوا معهم صناعة البناء فكان تأثيرهم عظيما ، شأنهم شأن العثمانيين و خاصة في بناء الزوايا والأضرحة و المساجد فهذهالأخيرة كانت أهم مايميزها الصومعة والمحراب و المنبر و العرصات كما أن بعض المساجد كانت مبنية بالرخام والزليج المجلوب من الخارج ولاسيما من تونس و إيطاليا يضاف إلى ذلك الثريات الجميلة و قناديل الزيت و الشموع في المناسبات الدينية [1] ، وكانت البيئة وراء طريقة العمارة في الجزائر فالحرارة و البرودة من جهة و عدم ظهور المرأة هي التي أملت كثيرا من أساليب بناء المساجد والمنازل و الزوايا ،وقد تحدث الكتاب الأوربيون عن كيفية البناء وجلب مواده، ومن بين البناة نذكر حسن باشا بن خير الدين الذي نسبوا إليه بناء العديد من الجوامع مثل جامع السيدة جامع علي بتشين وجامع كتشاوة ونحوها من المساجد التي إشتهرت بالجمال و ثراء المادة وحسن الذوق [2]، و أيضا

1 سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 1 ،المرجع السابق ،ص447 .

2ناصر الدين براهمي ، المرجع السابق ، ص113 .

أحمد بن محمد بن صارمشق الذي بنى جامع العين البيضاء [1]،في معسكر المهندس الهاشمي بن صارمشق الذي رمم جامع سيدي بومدين في تلمسان سنة **1208 هـ** ، و إبراهيم الجركلي الذي قام بنقش آيات قرآنية على جدران جامع كتشاوة ، و المعلم اللابلابشي الذي نقش باب علي بتشينو هكذا،كما لاحظ الأوربيون أيضا طريقة إعداد مواد البناء الواقية من الرطوبة و الحرارة فوجدوا أن الجزائريين كانوا يمزجون رماد الخشبو الجير و الرمل و يخلطونها ثم يرشون عليها الزيت و الماء في فترات معينة فتأتي من ذلك مادة بنائية جيدة تستعمل للأقواس والسقوف و نحوها من الأماكن التي يخشى منها تسرب الرطوبة و تقلبات الطقس ، وكان الصانع في البناء يدعى المعلم تقديرا لمكانته في المجتمع [2] ، فالمساجد كوحدة معمارية متكاملة تتكون عادة من :

أ – قاعة الصلاة : تمثل نواة المسجد و هي مقسمة إلى أساكيب و بلاطات ترتكز على أعمدة أو دعائم مربعة أو مضلعة تحصل بينها أقواسا أو عقودا منكسرة مثل ماهو الشأن في بعض مساجد الجزائر مثل الجامع الكبير ، ومسجد سيدي رمضان ، ومن أجل تفادي الضيق في قاعة الصلاة أضيفت قبيبات على الأساكيب و البلاطات الجانبية و تكون القبة في هذه المساجد المحمولة على أعمدة من الرخام ومن بين هذه المساجد مسجد الداي ، ومسجد عبد الرحمان الثعالبي .

1مصطفى بن حموش ، المرجع السابق ، ص42

2 سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، المرجع السابق ، 448 .

ب – المحراب : و هو التجويف الذي يحدد إتجاه القبلة حيث ينفرد فيه الإمام فيوفر صفا كاملا للمصلين، ينقسم داخل المحراب إلى قسمين علوى و سفلي ، يكون القسم العلوي مكللا بقبيبة أو بنصفها ،كما هو الحال في محراب الجامع الكبير[1].

ج – المنبر :و هو عنصر أساسي في المسجد ، وكان المنبر يعبر دائما عن السلطة الروحية للإمام فبدلا عن المنبر الخشبي في المساجد القديمة نجد المنبر المبني بالرخام ، مثل منبر الجامع الجديد .

د – الدكة : وهي المكان الذي يؤد ي منه الأذان ومنه تعاد تكبيرات الإمام أثناء صلاة الجمعة والعيدين[2]، هذا وبالإضافة إلى وحدات معمارية مكملة للمسجد طبعت الفن المعماري للجزائر في أواخر عهد الدايات بألوان مختلفة ميزته عن باقي الفترات .

المطلب الثاني : القصور

إن النسيج العمراني لمدينة الجزائر يعد من المعالم الأثرية وهذا راجع إلى طريقة البناء التي كانت تصل إلى درجة الإبداع في الأشكال الهندسية من زخرفة ونقوش جميلة وألوان زاهية ، وكتابات تذكارية وما إلى ذلك، وكانت القصور إحدى هذه المعالم الأثرية ، فقد كانت تبنى بالآجر والخشب لتدعيم المبنى وكانت تحتوى كلها على طابق أرضي يضم سقيفة تقوم مقام غرفة الإستقبال و تأتي مباشرة بعد البوابة الرئيسية للقصر و بها أروقة و غرف بالإضافة إلى مطبخ وحمام و مرحاض و صهريج لتخزين الماء وعيون جدارية و مخزن وطابق يضم غرف مختلفة الأحجام ومن فوقه سطح يستعمل لنشر الغسيل وعرض الثمار والأطعمة كالكسكسي للتجفيف وما يميزها أيضا أنها تحتوي على باب ضخم في المدخل الرئيسي

1محمد الطيب عقاب ، المرجع السابق ،143 .

2سعاد فويال ، المرجع نفسه ، ص31 .

للقصر مصنوع من الخشب ومزخرف بالنحاس ، أما نوافذه قليلة مسيجة وظيفتها تزويد الغرف بالنور ووصف بعض الأشخاص هذه القصور بالفردوس وهذا لما تحتويه من أشياء ثمينة و رفيعة[1]، ومن بين القصور التي بقيت إلى يومنا هذا، لقصر الداي وبهذا المقر كان يحكم الداي بين الناس ويستقبل زواره من الموظفين السامين وقناصل الدول الأجنبية، كما أن بهذا المكان وقعت حادثة المروحة الشهيرة .

وإنطلاقا من هذا سأعطي لمحة وجيزة عن قصر الداي وتركيبته المعمارية ليكون نموذجا من نمادج القصور، وسيكون وصفي لقصر الداي إنطلاقا من مذكرات أسيره كاثكارت إذ ذكر بأنه يتكون من عدد من البنايات التي تم بناؤها في مختلف الأزمنة إذ تربط بين بناية وأخرى دهاليس وشرفات خارجية ووصف بأن وصف هذه البنيات لا يرتبط بنظام معين [2]، ومع ذلك سأحاول البداية بالباب الخارجي للقصر، فهوى يقع بالجهة الشرقية الجنوبية من القصر يبلغ إرتفاع إطاره المزخرف4,87م وعرضه 1,94م ،وسمكه 0,23[3]، أما باب القصر الخشبي فهو مغطى بصفائح من الحديد ومزخرفة بمسامير ذات أشكال هندسية و يوجد على الباب الرئيسي للقصر لوحا من الحجر كتب عليه أبيات شعرية باللغة العثمانية ، وفي مقابل باب القصر تقع ساحة عمومية وزعت على جوانبها مجموعة من الغرف تبلغ مساحتها 20,22 م^2، وتغطي الباب شرفة يحيط بها سياج من القضبان المذهبة بالإضافة إلى الأروقة والغرف والمطبخ والحمام ،التي كانت تتميز هي الأخرى بطابع معماري مميز لما تحتويه من فنون معمارية عريقة[4].

1 عمار عمورة ،الجزائر بوابة التاريخ ، ج2 ، المرجع السابق ، ص 198 .

2 كاثكارت ، المصدر السابق ، ص 90 .

3 عليخلاص ،قصبة مدينة الجزائر ،ط1 ،دار الحضارة للطباعة و النشر ، الجزائر ،2007 ،ص 167-168 .

4كاثكارت ، المصدر السابق ، ص91 .

تقع القصور في غالب الأحيان قرب مركز الجذب الحيوي للمدينة ، وهو الموضع القريب من دار الإمارة ومن بين هذه القصور المذكورة يوجد قصر الصوف [1] ، وهذا القصر يعتبر آية الفن المعماري الجزائري لما كان يحتويه من زخارف على نمط الزخرفة التجريدية الإسلامية ،وقصر حسن باشا و قصر خديوج بالإضافة إلى القصور التي كانت تقع خارج أسوار المدينة و التي كانت تعتبر في عهد الأتراك جزءا من البادية الجزائرية [2] ، مثل قصر باردو، والذي يتميز بساحته الرخامية ذات الحوض الشهير "بحوض النساء"، و صحنه المزخرف بالخزف الإيراني و الإيطالي[3]،وبهذا نجد أن الطراز التركي لهندسة المباني العامة قد إنعكس على أسلوب البناية الجزائرية[4] .

المطلب الثالث: الحمامات

لقد كان للحمامات في مدينة الجزائر تركيبة معمارية معينة تميز كل واحد عن الآخر، و منها العمومية[5] ومنها الخاصة، فالحمامات العمومية هي المكان الذي يتنظف الناس فيه دينيا و صحيا ففيه يلتقي النساء والرجال الحضر كل في قسمه المنفصل أو حجراته ، وفي أيام "هيدو" كان هناك من الحمامات في الجزائر حوالي 60 ، حمام وكانت بنايتها واسعة تعلوها قبة فيها ثقوب و نوافذ زجاجية صغيرة مختلفة الأحجام تسمح بتسرب ضوء النهار والهواء وهي كلها مزخرفة بدرجات متفاوتة [6]،كما كانت هذه الحمامات مجهزة بالماء البارد و الساخن ، وعندما يدخل المستحم فيدفع أجره بورقتين إثنين

1 محمد الطيب عقاب ، المرجع السابق ، ص33 .

2 Nqcer eddine saidouni ,OP,cit ,P290.

3 عمار عمورة ، الجزائر بوابة التاريخ ، ج2 ، ص199 .

4 وليام سبنسر ، المرجع السابق ، ص 111 .

5 عمار عمورة ، الجزائر بوابة التاريخ ، المرجع السابق ، ص227 .

6كاثكارت ، المصدر السابق ، ص91 .

ثم يضع ثيابه في غرفة خارجية واسعة تتوسطها عادة نافورة مملو ءة بالماء ومصنوعة من الرخام وعليها رسومات وأشكال هندسية ، وبعدها يدخل المستحم إلى غرفة عريضة قد قسمت إلى مكعبات تتسع كل منها لأشخاص يتراوح عددهم من 10 إلى 12 ، وفي كل مكعب يمر الماء الساخن عبر أنابيب البرونز المقامة على الحيطان و المعممة لسحابات البخار التي يمر عبرها المستحم ،بالإضافة إلى وجود أرائك من القطيفة تغمرها سحابات من البخار الساخن المعبأ بالرائحة الزكية وبعد ما يقضي فترة يتصبب خلالها جسمه بالعرق يدخل الحمام الحقيقي ويجلس على مائدة مصنوعة من خشب الزان مرتفعة عن الأرض بنحو قدم واحد إلى أن ينتهى ويرتدي ملابسه و يخرج[1].

أما فيما يخص الحمامات الخاصة وهنا ، نعني بها حمام الداي وحمامات الشخصيات الكبيرة بما في ذلك زوجة الداي و زوجات الشخصيات الكبيرة ، فهي مزينة بالمرمر ، وحيطانها مطعمة ومزينة بالأجر الرفيع المستورد من جنوة[2]، وما فوق ذلك حتى السقف مزين بفتحات على شكل عيون برج الحمام تغطيها نقوش تشبه النباتات وباقات الأزهار وعناقيد العنب وغير ذلك من الفواكه من مختلف الأنواع على الطراز التركي ، أما من الجانب الخلفي تغطيها قطع من الزجاج الملون بمختلف الألوان تتناسق مع لون تلك والأزهار والنباتات ،بالإضافة إلى حجرة الإستحمام الواسعة التي تقوم على أعمدة رخامية وهي منقوشةومذهونة بنقوش لا تقل عن سابقتها،ومن خلال هذه الدراسة للحمامات العمومية و الخاصة نجد أن الفرق واضح بين الإثنينسواءا من الناحية الإجتماعية أومن الناحية العمرانية .

1وليام سبنسر ، المرجع السابق ، ص ص 114-115 .

2محمد الطيب عقاب ، لبمرجع السابق ، ص33 .

المبحث الثالث : الفنون الشعبية

شهدت الجزائرلمجموعة من الفنون الشعبية التي عبرت بها بطريقة أو بأخرى عن ثقافتها و التي ميزتها عن باقي البلدان الأخرى ، خاصة بعد أن أضفت عليها الطراز التركي العريق و الذي كان له الأثر الواضح على مختلف الفنون .

المطلب الأول : فنون الأزياء

إختلفت نوعية اللباس في مدينة الجزائر بإختلاف طبقات الناس وثروة الأشخاص وفصول السنة وكان الأثر التركي واضح على ملابس الجزائريين ، إذ كانوا يتفننون في طريقة الخياطة بما فيها من تطريز من عمل الإبرة التي من خلالها يجسدون رسومات معينة على القماش ، وعموما كان لباس الجزائريين يتكون من عدة قطع بعضها بأكمام والبعض الأخر بدون أكمام مفتوح في الصدر ومزين بأزرار وزخارف مختلفة الألوان بالإضافة إلى السراويل الفضفاضة والمطرزة فكثيرا ما كان الرجل يلبس حزاما يلفه عدة مرات حول وسطه يضع في طياته ساعته ومحفضة نقوده أو سيفه أو مسدسه وما إلى ذلك أما الرأس كان يلف بقطعة من القماش تدعى العمامة ،و الرجلين البليغة [1]، أما فيما يخص ملابس الكروغليين تكون عادة مصنوعة بحواشي من الذهب أو الفضة أو الحرير ويضاف إلى هذا إما شاش أو شاشية حمراء والسراويل المطرزة بتطريز حريري [2]، وفوق جميع ملابسه يلبس الرجل برنوسا يغطي به كل جسمه منسوج من صوف ناعم يمزج في غالب الأحيان بالحرير وبه زخارف وحواشي مصنوعة باليد تزيده رونقا و جمالا.

1 عمار عمورة ، الجزائر بوابة التاريخ ، ج2 ، المرجع السابق ، ص224 .

2 ينظر ،أمال شاربي ،الحياة الإجتماعية الثقافية ،المذكرة السابقة ،ص28 .

أما لباس النساء فإنه يتكون من قميص صغير ومن سراويل و ثوب من الحرير مزين بالتطريز والدنتال ويغلق بشريط من الوراء ، ويلبسن الفارملة بشكل شاسع وهي اللباس ذو الحزام المفتوح عند الصدر مع معطف بأكمام قصيرة مع ألبسة داخلية تتدلى على سراويل وهذا عندما يكن في المنزل [1]، وعندما يخرجن يضعن أثوابا صنعت خصيصا لهذا عليها أطرزة مزركشة ، متكونة من لباس الرأس الذي هو مخروطي الشكل و يطلق عليه بالقوطي [2]،و فوقه يلقى حجاب شفاف أو خفيف التطريز و متى خرجت المرأة خارج منزلها ترتدي حايك أبيض اللون يغطي ثوبها و جسمها كله من الرأس إلى العقب .

كما أن المرأة الجزائرية كانت تعتني أيضا بجمالها و لذا كانت تتزين بالحلي الثقيلة كالخواتم والأقراط والخلاخل المصنوعة من الذهب و الفضة و هذا حسب الطبقة التي تنتمي إليها المرأة ، وكانت السيدات يذهبن إلى الحمام مرة واحدة في الأسبوع ، ويمثل هذا الحدث ليس فقط للتنظيف و إنما نوعا من إظهار مختلف الأزياء و طريقة تصميمها ، وعلاوة عن هذا كانت النسوة الجزائريات يمارسن التطريس و الأشكال الأخرى من عمل الإبرة ، وقد إختصصن في القطع الخاصة بالنوافذ و الألبسة و المحازم اليدوية و وكانت الألوان الشائعة الأحمر و الأزرق الباهت[3]،ورغم إختلاط المجتمع الجزائري بالعناصر الأجنبية من قناصل الدول و التجار و الأوربيين إلا أنهم بقيوا متمسكين بثقافتهم في اللباس فخورين بحضارتهم الإسلامية غير مبالين بما كان يجري في أوربا من تقدم علمي و صناعي و ثقافي .

1 وليام سبنسر ، المرجع السابق ، ص107 .

2عمار عمورة ، الجزائر بوابة التاريخ ، ج2 ، المرجع السابق ، ص225 .

3وليام سبنسر ، المرجع السابق ،ص92 .

المطلب الثاني : الأعياد والمناسبات

كانت الأعياد الجزائرية تدعى بيرمات kbarams، من الكلمة التركية الخاصة بالعطل الدينية إضافة إلى المناسبات الدينية كشهر رمضان الذي كان مميز عن باقي الشهور الأخرى، بختم القرآن في المساجد وإضاءة الشموع، كما أنه في هذا الشهر الفضيل كان الناس يسهرون ويخرجون لزيارة الأقارب والجيران خاصة النساء حتى اللواتي لا يخرجن إلا نادرا لتبادل أطراف الحديث والإستمتاع بالسهرة حسب طريقتهم ، أما الرجال يتوجهن إلى المساجد للصلاة والقيام بالعبادة وبعد ذلك يذهبون إلى أماكن التسلية، وبهذا يعد شهر رمضان من أهم الأشهر السنوية ومن المناسبات التي ينتظرها الجزائريون سنويا[1].

وبعد مرور شهر رمضان يكون، عيد الفطر المبارك و الذي كان يطلق عليه البعض بعيد السكر وكانت تسمى أيضا بسكر بيرام sekerbyram[2]، وسمي بهذا الإسم لتبادل الناس الهدايا فيه و القطع الصغيرة من الحلويات المصنوعة بالسكر ، وذلك بمناسبة نهاية شهر رمضان الذي يحتفل به السكان، حيث يستيقظون باكرا على إيقاع الموسيقى، ويرتدون أجمل الثياب المطرزة من الذهب والفضة، وحتى المصنوعة من الصوف والقطن، وبعد صلاة العيد وتبادل التهاني يذهب الناس إلى زيارة المقابر والأقارب والجيران[3].

وقد كان أكبر الأعياد هو قربان بيرامي kurbanbayrami[4]، ومعناه عيد المسلم الكبير ،وهو عيد الأضحى المبارك والذي كانت تمارس فيه مراسيم دينية. حيث تقام الصلاة في المساجد صباحا، وبعدها

1عمار عمورة ، الجزائر بوابة التاريخ ، المرجع السابق ،ص 221 .

2وليام سبنسر ، المرجع السابق ، ص120 .

3 نصر الدين براهمي ، المرجع السابق ،ص129 .

4 وليام سبنسر ، نفس المرجع ، ص121 .

يكون ذبح أضحية العيد التي تميز هذه المناسبة ، وبعدها يتم توزيع جزء معين منها على الفقراء والمساكين ، وبعدها يكون تبادل التهاني مثلما جرى الحال في عيد الفطر.

وبالإضافة أيضار إلى المناسبات نذكر ،المولد النبوي الشريف وهو ميلاد الرسول صلى الله عليه و سلم ،إذ كان يعد هو الأخر من بين أهم المناسبات الهامة لدى الجزائريين ، فقد كانوا يحتفلون به بطريقة خاصة وذلك بإشعال الشموع وإقامة المدائح النبوية و حلقات الذكر و السيرة النبوية والتي كان يحضرها الكبير و الصغير،كما تجهز مختلف الأطباق من الحلويات والمأكولات المخصصة لهذه المناسبة.

أما حفلات المولود الجديد وحفلات الختان هي الأخرى كان لها وقع خاص لدي الجزائريين ،حيث يختن الطفل في سن الرابعة و الرجل الذي يقوم بهذه العملية أقصى مايتسلمه من الأثرياء هدية لا تزيد عن ثمانية بوجو[1].

بينما الفقراء فيختنون أولادهم مجانا في حين يتم ختان أبناء البادية على يد المرابط ، فالختان بالنسبة لسكان الريف حفل ديني أكثر منه دنيوي إذ يطلقون العنان للولائم والزغاريد و الغناء والرقص وما إلى ذلك .

وكان ليوم الجمعة أو عيد المسلم أيضا مظهر خاص حيث تغلق أبواب المدينة عند الصلاة، وتغلق الدكاكين ولا تفتح إلا بعد الصلاة، وتخرج بعض العائلات في نزهة أو زيارة بعضهم البعض، أما النساء فيكتفين بزيارة المقابرو الأضرحة[2].

1 عمار عمورة ، الجزائر بوابة التاريخ ، المرجع السابق ،ص 222 .

2 سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، المرجع السابق ، ص 156 .

بينما حفلات الخطوبة و الزواج كان يجري التخطيط لها بواسة الأمهات و العلاقات النسوية التي تسعى بين الطرفين، إذ تتم خطبة الفتاة الشكلية على يد الخاطبة ثم يجتمع الوالدان و يتفقان على الصداق الذي يجب أن يدفعه الشاب للفتاة ، فإذا ما تم ذلك ذهب إلى القاضي الذي يتسلم بدوره ما يستحقه من مال في سخاء وعقب ذلك يقرأ معه الفاتحة ليتم الزواج على بركة الله ، وكانت حفلات الزواج تختلف حسب الظروف المالية للعائلات و حسب المجموعة الإجتماعية المعينة ، و أثناء هذه الحفلات كان السكان يستلفون من بعضهم حليا و جواهر ثمينة يفوق سعرها في بعض الأحيان 10 أو 15 ألف فرنك لتتزين بها العروس ، ويرتكز هذا على الثقة و كرامة الناس، فكانت بعض الأسر الغنية تشتري الحلى خصيصا لإعارته للفقراء و المساكين و الأيتام[1].

وبهذا ومن خلال ماذكرنا نجد أن كل هذه الأعياد و المناسبات و العادات تعبر عن ثقافة المجتمع الجزائري الذي ظل متمسك بهذه الثقافة على مر العصور[2].

المطلب الثالث : فنون الألعاب و الاكل

1 – الألعاب

توجد هنالك العديد من الألعاب التي كان الجزائريون يتسلون بها كما كانت تعبر عن ثقافتهم هي الأخرى مثل المسرح الشعبي ، الذي أدخله الأتراك إلى الجزائر للتمتع بمشاهدة القراقوز أو مايسمى بخيال الظل ، وهو عبارة عنقبو مظلم يحتشد فيه عدد من الأهالي و يجلسون فوق الأرض و أنظارهم متجه إلى

1 حمدان خوجة ، المصدر السابق ، ص 103 .

2 عمار عمورة ، الجزائر بوابة التاريخ ، المرجع السابق ، ص 223 .

الشاشة حيث تظهر الأشكال السوداء الناطقة على قطعة من الورق مشبعة بالزيت ، ومن بين الشخصيات الناطقة شخصية القراقوز الذي يمتاز بمظهره المضحك و شكله الغريب[1].

بالإضافة إلى الفروسية و الألعاب البهلوانية و التي هي عبارة عن نوع من المصارعة بين الرجال تبرز قوتهم و خفة حركتهم ، و هناك لعبة أخرى تسمى لعبة العصا يشترك فيها الفرسان ويرمون عصيهم التي تشبه الرماح على بعضهم البعض وكان يشارك فيها حتى الباشا ، ولكن فقط في عيد الأضحى ، والمنتصر هو الذي يصيب صاحبه ويسقطه أرضا وفي الأخير يقدم لهم الباشا هدايا ومكافئات ، إضافة إلى هذه الألعاب كان السكان يتسلون بمشاهدة العروض الهزلية تشترك فيها شخصيات من العباد والحيوانات وتحتوي على إشارات وحركات مثيرة وسخرية مقذعة[2] .

أما العلماء فأبرز ما كان يجمعهم على الرياضة الفكرية والتسلية هو حل الألغاز ، فقد شاع بينهم وكان يتبادلونها و يتراسلون بها ويتحدون بعضهم البعض بها و يقضون في حلها الساعات الطوال ، ومن بين هذه الألغاز يذكر سعد الله لغز هاج الصنبر الذي دار بين سعيد قدورة و أحمد المقري ، وكذا لغز السبعة الذي وضع فيه أحمد البوني تأليفا خاصا ، وقد قال ابن حمادوش الذي أورده فتداولنا بيننا نحن علماء مدينة الجزائر حتى بلغ كل عالم و أديب في البلد فلم يفتضي بكرته ولم نجد علما عند أحد[3].

1 عمار عمورة ، الجزائر بوابة التاريخ ، المرجع السابق ، ص222 .

2عمار عمورة ،نفس المرجع ، ص222.

3 سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، المرجع السابق ، 453 .

2 – الطعام

يعتبر الطبق الشعبي المشهور بالجزائر الكسكسي [1]، و هو أهم وجبة غدائية للسكان وكان يفتل بشكل حبات صغيرة ،وكان يأكل في قصعة مصنوعة من الخشب و يرفق بالمرق و الخضراوات و اللحم أو مدهونا بالزبدة [2]، بالإضافة إلى السمك الذي تفنن الجزائريون في طريقة طهوه [3]، و الخبز المطهو على الجمر والدجاج واللحم و القهوة التي تعد من أفضل مشروباتهم ، و الخضراوات والفواكه بنوعيها الطازجة أو المجففة ، والحليب و الزبدة المصنوعة من حليب المواشي ، وزيت الزيتون ، فقد كان الجزائريون يعصرونه ويتناولونه وفي نفس الوقت يستعملونه كدواء للعديد من الأمراض[4] .

المطلب الرابع الفنون الموجودة بالأسواق و المقاهي

1 – المقاهي :

تعتبر المقاهي من الأماكن التي يلتقي فيها المواطنون فهي مقصد معظم الرجال، إذ يورد خوجة أن عددها بلغ ستين مقهى أغلبها يمتد من باب عزون إلى باب الوادي، وكانت طريقة بنائها مميزة إذ كانت مقسمة إلى مقصورات تسند على أعمدة وتتسع لعدد كبير من الزوار، فناجيلها مصنوعة من الخزف فوق صحون من الصفيح ويوضع فيها مسحوق السكر، وكان لجلوس الأتراك على المقاعد طريقة خاصة لتناول القهوة أو الشاي كونهم طبقة أرستقراطية، أما البقية يجلسون على الحصير المفروش على الأرض[5]

1 عمار عمورة ، الجزائر بوابة التاريخ ،ج2 ،المرجع السابق ، ص223 .

2 Nqcer eddine saidouni ,l' algérois Rural(Ala fin du l'epoque ottomane (1791-1830),ar Al-gharb Islami ,lebanon,2001,p289.

3 وليام شالر ، المصدر السابق ، ص88 .

4 عمار عمورة ، الجزائر بوابة التاريخ ،ج2 ، المرجع السابق ، ص223 .

5 عمار عمورة ، الجزائر بوابة التاريخ ، ج2 ، المرجع السابق ، ص221 .

ومن بين الألعاب التي كانت تمارس فيها لعبة الذكاء وهي لعبة الشطرنج التي تكون بين شخصين لا أكثر بالإضافة إلى لعبة حجر النرد أو لعبة الكؤوس والتي كانت تستهوي معظم الوافدين على المقاهي في حين أن البعض يفضلون السماع إلى الموسيقى و الأغاني بأنواعها من الأندلسي و الشعبي[1].

2 **الأسواق** :

شهدت الأسواق فنون يدوية كانت مكسب رزق السكان في الجزائر خاصة الصناعات اليدوية التي اختص بها بعض السكان مثل صناعة الحلي بالفضة أو الذهب وقد شهدت أسواق الجزائر في هذه الفترة تواجد الذهب المكسيكي و الماس الهندي ، بالإضافة إلى صناعات الأسرجة و الجلود ومن بين الأسواق نذكر ، سوق باب عزون وسوق باب الوادي وسوق بوفاريك [2]،وإلى جانب كون الأسواق مكان للصناعات اليدوية ومكان عقد المبادلات والصفقات التجارية ، فهي أيضا مكان يذهب إليه الناس .ومنهم من يذهب إلى الأسواق ليستمع إلى المداحين وهم يقصون عليهم حكايات ومغامرات الأبطال مثل قصص شهرزاد و سندباد البحري وما شابه ذلك .

وبهذا ومن خلال ما سبق ذكره ، نجد أن الجزئريون برعوا في فنون مختلفة ،كانت في غالب الأحيان مصدرا لرزقهم ، وفي أحيان أخرى كانت وسيلة ترفيهة تروح عن النفس ، بالغم من القيود ال تي وضعها العلماء و المتصوفة حول بعض القضايا .

1عمار عمورة ، نفس المرجع ، ص222

2وليام شالر ، المصدر السابق ، ص 78 .

خاتمـــة

وفي ختام هذه الدراسة وبعد دراستي للأوضاع الثقافية بمختلف مجالاتها في الجزائر أواخر العهد العثماني وصلت إلى مجموعة من النتائج استخلصتها في العناصر التالية:

- عجز العثمانيين عن مواكبة التطورات العلمية الحاصلة في الغرب ، وهذا راجع إلى انشغالاتهم الحربية، إذ كانت تركز أكثر على المجال العسكري و الأمني ، مما أدى إلى تأخير هذا القطاع في الوقت الذي كانت فيه الدول الأوربية تشهد نهضة علمية تكتشف في كل يوم جديد حقول المعرفة ، مما أدى إلى إختلال التوازن بين العالم الإسلامي و العالم الغربي .
- حاولت المؤسسات الثقافية فرض وجودها على المجتمع من خلال مهامها ومن خلال ما كانت تقدمه من مساعدات وتنظيمات للسكانوذويالإحتياجات من فقراء و علماء وطلبة وغيرهم كما تميزت أيضا بكثرة عددها و إنتشارها في مناطق مختلفة .
- تأسست في الجزائر العديد من المدارس التي نالت شهرة عالمية ، منها مدارس تلمسان وقسنطينة ووهران ومازونة ومعسكر، والتي أشار إليها المؤرخ الناصري ، بقوله هي "المدينة التي كاد العلم أن ينفجر من جوانبها".
- ظلت الحركة التعليمة مقتصرة بالدرجة الأولى على التعليم الدينيبإعتباره أساس الشريعة الإسلامية.
- شهدت المرحلة العثمانية في الجزائر تنوع ثقافي كان منتشرا بكثرة،و خصوصا الصوفي منه، إلا أنه ظل يعاني من الطابع التقليدي.

- سيطرة عدة ظواهر على الحياة الثقافية في العهد العثماني ومن أهمها إنتشار الدروشة وشيوع الشروح و الحواشي ، فالتصوف الذي كان يعني الزهد والإبتعادعن الدنيا وأهلها، قد ترك مكانه إلى نوع من التصوف هو أقرب إلى الدروشة و الدجل و ما إلى ذلك .
- ظهور بعض الطرق الصوفية التي فرضت نفسها بشكل مكثف نتيجة الفراغ الثقافي وعدم وجود تلاحم بين الحكام و المحكومين إلا في أمور ناذرة .
- يعد الوقف إحدى الركائز الدينية الأساسية في إستمرارية الحياة الثقافية ، سواءا وقف السلطة أو أوقاف ذوي الإحسان ، الذي عرف نشاطا كبيرا في الجزائر آواخر العهد العثماني.
- عرفت الجزائر أواخر العهد العثماني إنتشار كبير للزوايا و التي لعبت دور كبير في التعليم بالإضافة إلى أهميتها الإستراتيجية بإعتبارها همزة وصل بين المناطق الداخلية و المناطق الخارج .
- وجود الدعم اللا محدود للزوايا ، وذلك بفضل الوازع الديني الذي تشبع به سكان الجزائر .
- إن العلاقة التي كانت بين السلطة و رجال الدين ، لم تكن بدافع ديني سياسي،بل كانت قائمة على خدمة مصالح الطرفين ،كونهم لم يعطوا أهمية كبيرة لنشر الثقافةوالعقيدة الصحيحة بين الناس .
- قلت الآثار المبتدعة في إنتاج العلماء بحكم الجمود العقلي وشيوع الدروشةوالتخلف السياسي .
- هجرة العلماء نحوى المغرب نتيجة عوامل سياسية و إقتصادية وثقافية .
- تميزت العلوم الشرعية بالتقليد و االتكرار و الحفظ ، مما أدى إلى نذرةالأنتاج في العلوم الشرعية إذ التمس هؤلاء العلماء نشاطهم العقلي في دراسة أعمال السابقين والنظر إليها نظرة تقديس .

- عرفت الجزائر تنوع للفنون في مجالات مختلفة، والتي كانت تعبر بها بطريقة أو بأخرى عن ثقافتها التي تميزها عن باقي المناطق الأخرى .
- شهدت الجزائر آواخر العهد العثماني، فنون معمارية عريقة مثل، القصور ، المساجد الحمامات .
- عرفت الجزائر فنون شعبية ، شملت الرجال و النساء ، كما كانت في غالب الأحيان فنون ترفيهية تروح عن النفس .
- كان الأثر التركي بارز على مختلف الفنون في الجزائر آواخر العهد العثماني .
- كان للعلماء و المتصوفة آراء مختلفة حول بعض الفنون مثل ، الرقص ، الغناء الموسيقى ، فمنهم من حرم ذلك ، ومنهم من أباح ذلك ،لكن وفق مقايس معينة كانت أيضا محطة إختلاف العلماء .
- هذه بعض الاستنتاجات التي توصلت إليها ،وهي لا تعتبر أحكاما مطلق ة، أونهائية بل قابلة للزيادة و الإثراء ، فإن أخطأت فمن نفسي ، و إن أصبت فمن الله عز و جل .

المصادر والمراجع

أولا – المصادر:

1 – الجبرتي عبد الرحمان بن حسن ، عجائب الأثار والتراجم والأخبار، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم ،مطبعة الكتاب المصرية ،القاهرة ،1998م .

2 – الجزائري محمد بن عبد القادر ، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر و الأمير عبد القادر ج1، شرح وتعليق ممدوح حقي ، ط2 ،دار اليقظة العربية ، بيروت ، 1964م .

3 – بن حمادوش عبد الرزاق الجزائري ،تح،أبو القاسم سعد الله ، عاصمة الثقافة العربية، الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر ،2007 .

4 – خوجة بن عثمان حمدان ، المرآة ، تح ، محمد العربي الزبيري، الجزائر،1975.

5 – الزهار الحاج أحمد الشريف،مذكرات نقيب إشراف الجزائر ، ط1(ش،و،م،ن)، الجزائر 1974

6 – سالم عبد الله بن محمد العياشي ،الرحلة العياشية (1661-1663م)، ج1 ،تحقيق وتقديم سعيد الفاضلي و سليمان القريشي ،الجزائر ،2005م .

7 – سحنون الراشدي أحمد ،الثغر الجماني في إبتسام الثغر الوهراني ، تحقيق المهدي البوعبدلي مطبعة البحث ،الجزائر ، 1973م .

8 – شالر وليام ، مذكرات قنصل أمريكا (1816-1824م)،ترجمة وتعليق العربي إسماعيل، (ش،و،ن،ت)،الجزائر ، 1982م .

9 – عبد الرحمان بن خلدون ، ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربرو من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، 2004 .

10 -عبد الرحمان بن خلدون ،تاريخ العلامة بن خلدون ،طبعة جديدة ، ج3 ،موفم للنشر الجزائر . 2007

11 -عبد الكريم الفكون، منشورات الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تحقيق أبو القاسم سعد الله، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1987.

12 -محمد بن ميمون الجزائري ، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ،تح محمد عبد الكريم (ش،و،ن،ت)،ط2 ،الجزائر ،1981 .

13 -محمد بن يوسف الزياني ، دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة و هران ، تقديم وتعليق المهدي البوعبدلي ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الرغاية ، الجزائر ، م2007 .

14 -الناصري أحمد بن أحمد أبي راس ، عجائبالأسفار و لطائف الأخبار ،مخ، المكتبة الوطنية الجزائرية ، رقم ،3327 .

15 -الناصري أبو راس ، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي و نعمته ،تحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري ،(م،و،ك)، الجزائر ،1966 م.

ثانيا:المراجع

1 - أحمد توفيق المدني، محاضرات في اللغة والفكر والتاريخ، دار البصائر، حسين داي، الجزائر، 2008.

2 - أوجست فايست ، تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي (1792_1873)،ترجمة صالح نور ،ط1 ،دار قرطبة، الجزائر ،2010 م

3 - جمال قنان، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني (1500-1830)، (م،ج،ط)

4 - الجمل شوقي عطا الله ، المغرب العربي الكبير من الفتح الإسلامي إلى الوقت الحاضر ليبيا ، تونس، الجزائر،المغرب الأقصى (مراكش)، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة ، 2007 م .

5 - حنفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1429هـ/ 2008.

6 - رقية شارف ، الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة خلال القرن 18 م وبداية القرن 19م، دار الملكية ، ط1 الجزائر ،2007 م .

7 - زرهوني الطاهر، التعليم في الجزائر قبل وبعد الاحتلال، موقم للنشر، 1993.

8- زكي مبارك ، التصوف الإسلامي في الأدب و الأخلاق ، منشورات صيدا ، لبنان ، ج1 (د،ط)

9 - سعاد فويال، المساجد الأثرية لمدينة الجزائر، دار المعرفة، الجزائر ،2010م.

10 - سعيدوني ناصر الدين ن النظام المالي في الجزائر آواخر العهد العثماني (1792-1830م)،ط2 (م،و،ك)، الجزائر ،1986 م.

11 - سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000.

12 – صالح فركوس، تاريخ الجزائر(من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال)، دار العلوم للنشر والتوزيع، 2005.

13 – صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830)، ط2، دار هومة (ط،ن،ت)، الجزائر.

14 – صلاح مؤيد العقبي ، الطرق الصوفية و الزوايا بالجزائر تاريخها و نشاطها ، دار البرق ، لبنان 2002 م

15 – عائشة غطاسي، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر (1700-1830)، مقاربة اجتماعية – اقتصادية، منشورات ANEP، الجزائر، 2007.

16 – عبد العزيز شهبي، الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع.

17 – عزيز إلتر سامح ، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية ، ترجمة محمد علي عامر ، ط1 دار النهضة العربية ، بيروت ،1989 م.

18 – علي تابليت، تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني، منشورات ثالة، الجزائر، 2012م .

19 – علي خلاص ، القلاع و الحصون في مدينة الجزائر المنشآت العسكرية الجزائرية في العصر الحديث عاصمة الثقافة ، الجزائر ،2008 م .

20 – عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ الجزائر عامة (ما قبل التاريخ إلى 1962)، ج2، دار المعرفة، الجزائر، 2006.

21 -عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ الجزائر عامة (ما قبل التاريخ إلى 1962)، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2006.

22 -عمار يزلي، الثقافة في مواجهة الاحتلال، منشورات السهل، الجزائر، 2009.

23 -فوزي سعد الله ن قصبة الجزائر الذاكرة الحاضر و الخواطر ، دار المعرفة ، الجزائر ،2007 م

24 -أبوالقاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي (1854-1830)،ج4 ،دار الغرب الإسلامي بيروت 2005 م .

25 -أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزء الثالث، طبعة خاصة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، دار الرائد، الجزائر، 2009.

26 -أبوالقاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزء الخامس، طبعة خاصة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، دار الرائد، الجزائر، 2009م.

27 -أبوالقاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)، ج1، ط1، دار البصائر، الجزائر.2005 م .

28 -أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، (ط،خ)، دار الرائد، الجزائر، 2009م.

29 -قشي فاطمة الزهراء، سجل صالح باي للأوقاف (1185- 1207هـ/ 1771-1792م)، تصدير ،عبد الجليل التميمي، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر 1430هـ/2009م.

30 -ليلى تيتيش، بوعلام تيتيش وتاريخ موسيقى الزندقية في الجزائر، مراجعة فرحات جلاب وخالدة بوريجي، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 22 ماي 2000.

31 -مبارك بن محمد الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة العربية الجزائرية، شارع العربي بن مهيدي، الجزائر.

40- مبروك مهيريس، المساجد العثمانية بوهران، 2008، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، ص39 .

41- محمد أحمد مهدي، نظام الوقف في التطبيق المعاصر (نماذج من تجارب الدول والمجتمعات الاسلامية) ب. السلسلة 1423/6191، 1423هـ.

42- محمد البشير الإبراهيمي ، الطرق الصوفية ، ط1 ،مكتبة الغرباء الأثرية ن الجزائر 2008 م

43- محمد الطيب عقاب، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، الطبعة الأولى، دار الحكمة، الجزائر، 2000.

44- محمد الطيبي، الجزائر عشية الغزو الاحتلالي، دراسة في الدهنيات والبنيات والمآلات، ط1، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

45- محمد العربي الزبيري، مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، ط2، (ش،و،ن،ت)، الجزائر، 1961.

46- محمد طمار ، الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج (ش،و،ن،ن)، الجزائر،1983م .

47- مختار حساني ،التراث الجزائري المخطوط في الجزائر و الخارج ،ج2 ، منشورات الحضارة .

48- المدني أحمد توفيق ، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا (1492-1791)،(م،و،ك)،الجزائر ، 1986 .

49- المدني أحمد توفيق ، محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766-1791م)،م،و،ك، الجزائر ، 1986 .

50- مريوش أحمد ، بالحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني ،منشورات المركز الوطني ، الجزائر ،2007

51- المنور مريوش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني العملة الأسعار والمداخيل، ج1، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009.

52- مولاي بلحميسي ، الجزائر خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني ، ط2 ،(ش،و،ن،ت) الجزائر 1981 م .

53- نصر الدين براهمي، دعلي تابليت، تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني، منشورات ثالة، الأبيار الجزائر، 2010م .

54- وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، ترجمة، عبد القادر زبادية، دار القصبة، الجزائر.

56- ياغي أحمد إسماعيل ، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ط2، مكتبة العبيكان، 1998م .

57- يحي بوعزيز ، الموجز في تاريخ الجزائر ، الجزء الثاني ، ط2 ،المطبوعات الجامعية ، الجزائر 2007

58- يحي بوعزيز، تاريخ قسنطينة، طبعة خاصة، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009 م.

59- يمينة درياس، السكة الجزائرية في العهد العثماني، ط1، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007 م.

المراجع بالفرنسية :

1- RINN,Marabouts et khouans,Etudesur L'islam enAlgérie,A,jourdan ,Alge,1884,
2- SHAW,Voyage dans la régence d'Alger,trad de l'Anglais par J.Mac.Carthy 2éme edBouslama ,Tunis ,1980,pp84,85
3- Nqcer eddine saidouni ,l' algérois Rural(Ala fin du l'epoque ottomane (1791-1830),ar Al-gharb Islami ,lebanon,2001.

المجلات :

1 - صالح بوسليم ، مؤسسة الزوايا بإقليم توات خلال القرنين 12-13 هـ/18-19 م ، في مجلة الواحات مجلة الواحات للبحوت والدراسات ، العدد التاسع ، المركز الجامعي غرداية ، الجزائر ، 2010.

2 - مجلة الدراسات التاريخية ،عبد العزيز بوكنة ومجموعة أخرى ،العدد الثالث عشر ،1433هـ/2011م الجزائر .

الرسائل والمذكرات الجامعية :

1 - أمال شاربي و جهاد يعقوب ،**الحياة الإ**جتماعية و الثقافية في الجزائر أواخر العهد العثماني نهاية القرن الثامن عشر و بداية القرن التاسع عشر،مذكرة لنيل شهادة الليسانس تاريخ عام ،2008-2009 م

2 - شدري رشيدة معمر ،العلماء و السلطة العثمانية في الجزائر (1671-1830م)،مذكرة لنيل شهادة الماجستير،تاريخ حديث ،2005-2006م

المعاجم :

1 - أبو عمران الشيخ وناصر الدين سعيدوني ، معجم مشاهير المغاربة ، (م،و،ط)،الجزائر ،1995 م.

2 - عادل نويهص ، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ، ط2 ،مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف و الترجمة و النشر ،بيروت ،1400هـ/1980 م

الملاحق

ملحق رقم (01): خريطة الجزائر العثمانية

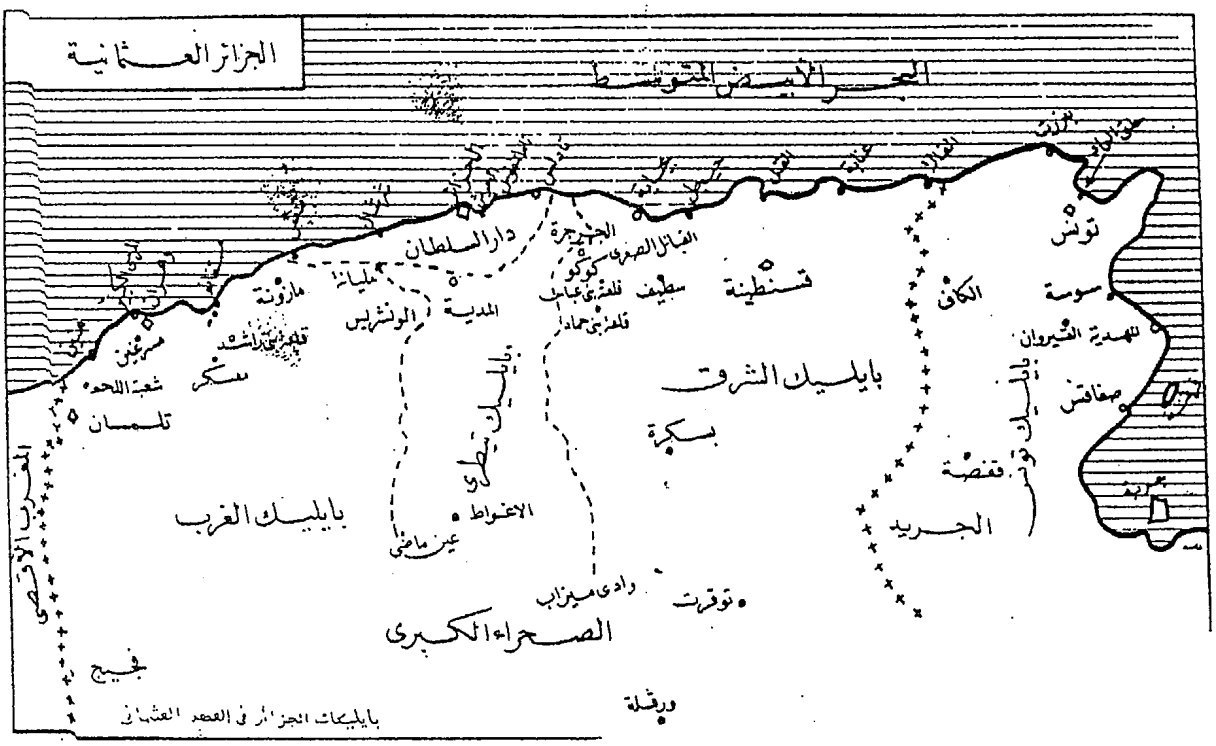

يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، د. المطبوعات الجامعية، الجزائر 2007، ص153.

الملحق رقم(2): مسجد بباب الوادي وإحدى شوارع مدينة الجزائر

(رسم جيني وباو)

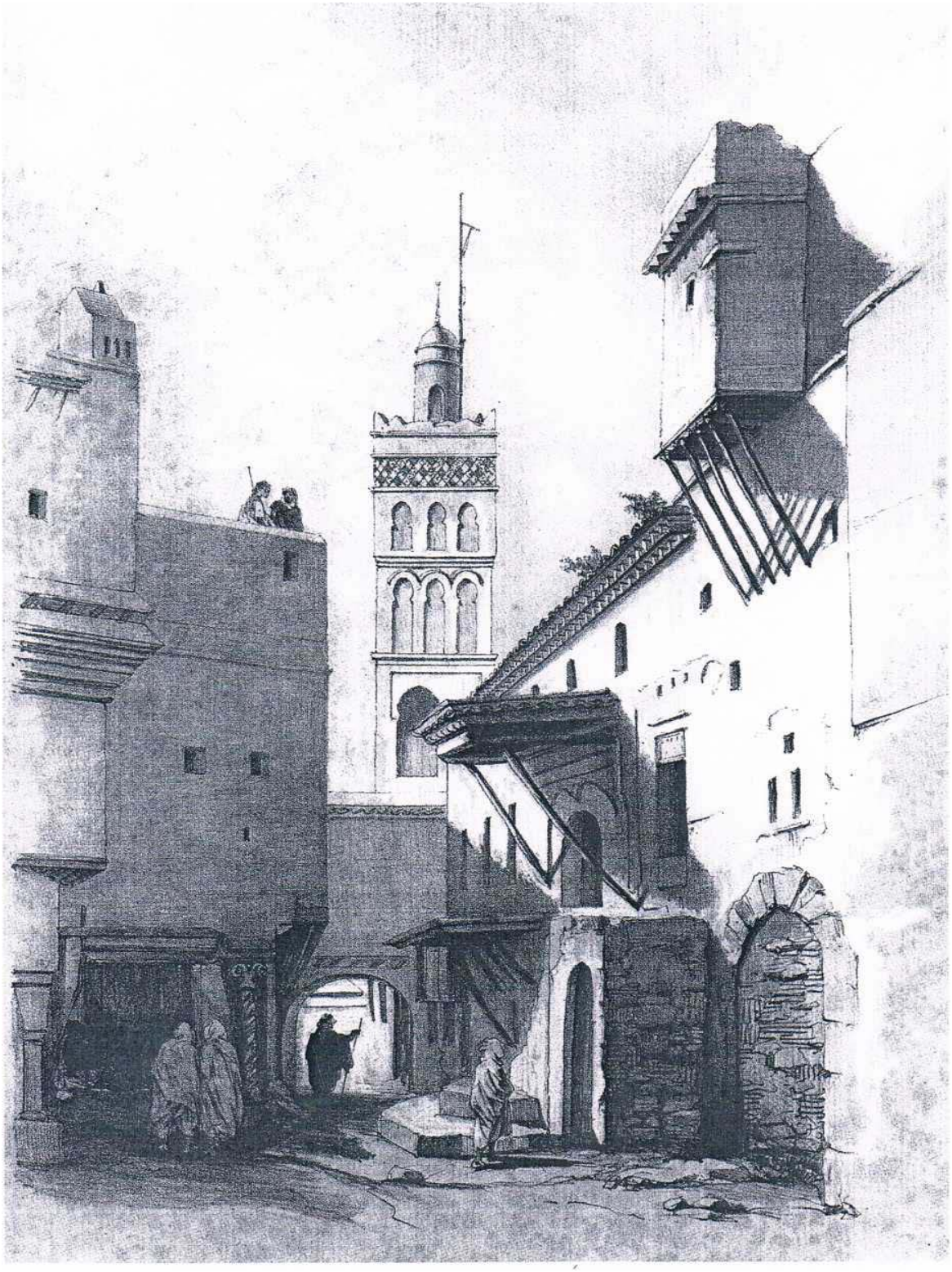

نصر الدين براهمي، المرجع السابق ،ص 124.

الملحق رقم(3):مدارس قرآنية

مدرسة قرآنية.

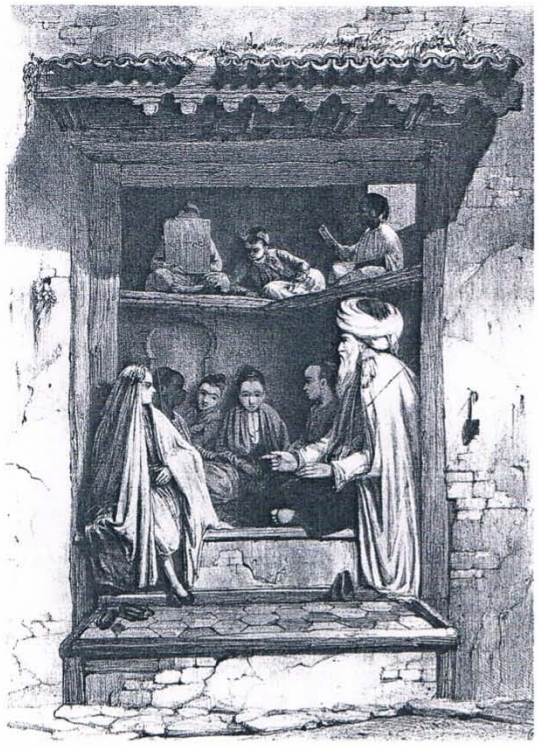

مدرسة قرآنية– (لوحة للفنانين وايلد ولصوّر).

مدرسة قرآنية.

مدرسة قرآنية – ضريح سيدي عبد الرحمن.

نصر الدين براهمي، المرجع السابق ،ص 191.

الملحق رقم(4):نماذج من لباس المرأة

صحراوية من مدينة الجزائر.

فتيات من مدينة الجزائر.

امرأة من مدينة الجزائر بلباس خارجي

امرأة من مدينة الجزائر بلباس خارجي

نصر الدين براهمي، المرجع السابق ،ص 227 .

الملحق رقم (5): نماذج من الفنون المعمارية

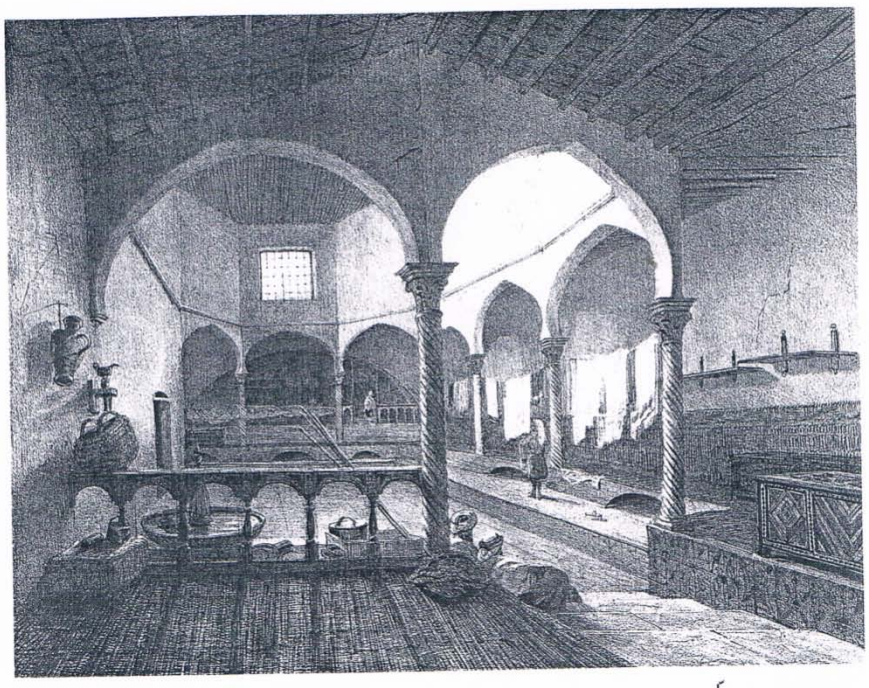

حمّام

محلّ تجاري

مقهى

نصر الدين براهمي، المرجع السابق ،ص190 .

فهرس المحتويات

مقدمة.....أ

مدخل.....**10**

الفصل الأول:الحركية الثقافية

المبحث الأول : المؤسسات الثقافية..... **13**

المطلب الأول : الزوايا و الرباطات..... **13**

المطلب الثاني : المساجد والمدارس و الكتاتيب..... **18**

المطلب الثالث :الأوقاف..... **23**

المبحث الثاني:المؤثرات الثقافية..... **27**

المطلب الأول : سياسة التعليم **27**

المطلب الثاني : وسائل التعليم..... **30**

المطلب الثالث : مناهج التعليم..... **34**

المبحث الثالث :حركة التصوف ونشاط الطرق الصوفية **38**

المطلب الاول :بعض المرابطين واهم الطرق الصوفية..... **38**

المطلب الثاني :اثرها على البنية الدينية والثقافية **41**

المطلب الثالث : دور المتصوفة في التعليم..... **47**

الفصل الثاني: العلم ورجاله

المبحث الأول :طبقة العلماء..... **49**

المطلب الأول: مكانة العلماء ووظائفهم..... **49**

المطلب الثاني:علاقة العلماء بالحكام **54**

المطلب الثالث: هجرة العلماء..... **58**

المبحث الثاني :أهم العلوم بالجزائر خلال عهد الدايات..... **62**

المطلب الأول:حركة النسخ و التأليف..... **62**

المطلب الثاني:الأدب الشعبي **64**

المطلب الثالث: العلوم..... **65**

المبحث الثالث : أشهر العلماء..... **71**

المطلب الأول:عبد الكريم الفكون..... **71**

المطلب الثاني:عبد الرزاق بن حمادوش..... **73**

المطلب الثالث:أبو راس الناصري..... **75**

الفصل الثالث :مجالات الفنون

المبحث الأول :أهم الفنون..... **78**

المطلب الأول: فن الرسم..... **78**

المطلب الثاني:فن الموسيقى و الغناء و الرقص..... 79

المطلب الثالث:موقف العلماء و المتصوفة من الفنون..... 83

المبحث الثاني:الفنون المعمارية..... 86

المطلب الاول:المساجد و الزوايا والأضرحة..... 86

المطلب الثاني:القصور..... 88

المطلب الثالث:الحمامات..... 90

المبحث الثالث:الفنون الشعبية..... 92

المطلب الاول:فنون الأزياء..... 92

المطلب الثاني:الاعياد و المناسبات..... 94

المطلب الثالث:فنون الألعاب والأكل..... 96

المطلب الرابع:الفنون الموجودة بالأسواق و المقاهي..... 98

الخاتمة..... 100

المصادر والمراجع..... 103

الملاحق..... 112

فهرس المحتويات..... 117